

الثقافة

AL-THAQAFa

العدد ١ : شارع الكهفاس مابين - القاهرة - تلفون رقم : ٢٢٦٦٢
٥٦٦٦٩

العدد ٢٦٣

الثلاثاء ١٥ من المحرم سنة ١٣٦٣ - ١١ من يناير سنة ١٩٤٤

السنة السادسة

فهرس العدد

صفحة	صفحة
١٨ تعليق على • إصلاح التعليم : للاستاذ محمد البرزعي	٩ روبرغلت ، قبل الأربعين ... : الدكتور أحمد زكي بك ...
٢٢ أدب الأسبوع : ...	٥ ممدحت إشتا ... : الأستاذ أحمد أمين بك ...
٢٢ أفرأ - الحسان والمركب -	٩ لي لثة في ذاتي ... : الدكتور مصطفى جواد ...
٢٢ زعم الطيبة الأدب -	١٢ وظائف الدولة ... : محمد محمود ...
٢٢ الحمار - خجلة -	١٥ في حضرة أبي العلاء ... : أحمد طلس ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

مطالعات أشتات :

روزفلت

قبل الأربعين

للككتور أحمد زكي بك

السنن تستمرى العيش ، ونحس دفء الحياة حتى يكاد يكون الدفء اصطلاحاً ، ونحس في ماضٍ سعيد ذي جاد وذى نراه ، ونحس في حاضر نذلٍ بشارة على مستقبل والنجاح أملاً ، والعمل أوفر . ثم تصور أنك ذهبت يوماً إلى فراشك تستريح من برد أصابعك ، ثم أخذت تحرك إحدى رجليك فأبت عليك الحركة ، ثم أخذت بعد قليل تحرك يديها فأبت عليك الحركة ، ثم استطلمت رأيت العليل استطالاح مؤجس لفنان ، فقال لك إنه الشلل ،

المعروف الشائع عند الناس أن سن الأربعين هي السن التي يكتمل فيها الجسم ، ويستقر فيها العقل ، وتردهم عندها في الحياة الآمال . لا تلك الآمال الصغيرة التي تكون والحياة صغيرة ، ولكن تلك التي تكون كبيرة ، وقوة الحياة الدافعة في أشدها ، والقوة العاقلة في عنفوانها ، والقاب الجشاش في فوزاته .

تصور نفسك وقد بلغت هذه السن ، أو طلمت على مشرف قريب منها . ثم تصور أنك في كسب هذه

رحل هذا البيت ، في حضن الريف ، وعلى النهر ، نهير
عند سنن ، فتمنّى على الأرض ركوب الحيل ، وتعلّم على
السباحة قيادة السفن . ونشأ في غير مدرسة ، فقد علّمه
في البيت أبوه وعلمته أمه . وجري مع والده في الريف
الطليق تعلم من الطبيعة الحبيبة ، وشرب من أفواقيها
وكان وحيداً أمه ، فوجد بعض أُنسائه عند الجيران ، فلب
مع أطفالهم ، ومعهم دروس اللغات وما تُعلّمه المدرسة
من علوم .

وبلغ عامه الخامس عشر ، فبعث به أبوه إلى مدرسة
خاصة من خير المدارس ، مدرسة جروتون Groton ، وفي
هذه المدرسة دخلت في غسه الزبينة ، أول ما دخلت ،
من هؤلاء النفر من ذوي الثراء الذين يطلبون لتفسيهم ،
على كل مغرم ، مركزاً بين الناس ممتازاً ، يكسبونه على
الأكثر بالترفع عن الغفيرة ، والتعاجز عن السكافة .
وفي هذه المدرسة تألمه شقيقه بالماء ، وقيادة السفن من
قوله . ولعب كمالاً كثيرة عن السفن وأساطيل البحار ،
صارت له من بعد ذلك مجموعة من خيرة الجامعين في هذا
الموضوع . كان من أروها في حياته المستقبل ما كان .
وقعت الحرب بين الولايات المتحدة وأسبانيا وهو في
هذه المدرسة ، فتركها يطلب أن يلتحق بأسطول الولايات
بحاراً ، ولكن الحظبة أصابته عندئذ فارتدت بها
على أعقابها .

وبلغ الثامنة عشرة في عام ١٩٠٠ ، فذهب إلى الجامعة
التفكيرية جامعة هارفرد Harvard . فأظهر بها ذكاء
ممتازاً ، ولكن قاته صبر التحصيل . وهو إن لم يبلغ فيها
مبلغ الطالب الذي يصل بالدرس ليله بنهاره ، فقد تشقّق
فيها ذهنه ، واتسع أفقه ، وغدنه بالمثل الطبية فيها
أسانته . ووقع له في هذه الجامعة ما وقع في تلك المدرسة :
التمتزاز صاخر من جميات تلك الجامعة ، فهي جاءت

وإنه « لثقل الأطفال » ، وإنه « دام عيابه » لاجبة فيه
للأطباء . إلا أن يشاء الله ، وقليلاً ما يشاء . فسكّ يرق
عندك وعندي بعد هذه من الحياة ودقتها ، وإلى أي شيء
كان يتطاول بنا الأمل ؟ إلى السكون إلى بقية من العيش
نستفدنا في ركن هادئ من أركان الدنيا لا يكاد وإنما فيه
أحد ، ولا يكاد يسمع بنا فيه أحد ، ولا نعب أن نرانا
فيه عين ناظر ، أو نحس بوجودنا فيه أذن سامع ، حتى
من ذوي القرى الأفرين ؟ أم نرانا يتطاول بنا الأمل إلى
معترك الدنيا ، إلى حيث موج الحياة أغنى وأضعب ،
تطلب ، لا السيادة في قرية ، ولا السيادة في مدينة ،
ولكن تطلب السيادة في أمة ، وفي أمت من أمت
الأرض العظيمة ؟

لقد اختار روزفلت ، لما أكل عند باب الأورين شيلو ،
وأصابه عندها من عسل الأقدار ما أصابه ، اختار
معترك الحياة الأضعب . واختار له أمة ركن الحياة
الأسكن ، فإني عليها . لقد أتى أن يتعرف معززة ،
فكان هذا أول نصر مبين ، وكان نصراً في ميدان النفس ،
وهو أصعب الميدان أوثقاً ، وأخطأها حُكماً . والمتنصر
فيه يهون عليه من بعده انتصار يرومه في ميدان سياسة
أو ميدان مال ، أو في ميدان حرب ورجال . وهذا النصر
الأول ، بهذا النجح الأول ، تابع صاحبنا نجحه في
الحياة حتى صار منها إلى ما نعرف : ثلاث ثلاثة في أيديهم
زمام هذه السكرة من بعد الله ، إذا سئلت أي هؤلاء
الثلاثة أعظم ، وأهم أظم ، وأهم أعلى كماً وأرفع نجماً ،
لم تذكر كيف نجح .

وُلد فرنسيس كلين روزفلت Franklin Roosevelt
في الثلاثين من يناير عام ١٨٨٢ ، فهو مستمّ عامته الثاني
والثين هذا الشهر . وكان أبوه جيمس روزفلت مزارعاً
ذا ثراء ، وأخيه أبوه من زوجة له ثانية . ونشأ في

وحضر ثيودور الرقاب بالطبع ، فقد كان وصي الزوجة ومُهدبها في الحفل إلى زوجها . وكان حفلاً أومنتقانياً من الأفعال النادرة . وقد أكتب الرئيس الحفل وجاعة ، ولكنه استأثر بأفكار الناس . ودخل الرئيس إلى مكتبة البار تجهمر حوله الناس يستمعون له . وخلا المكان بالزوجين حيث كانا ، فلم يكن لهما بد إلا اتباع الجمهور ، فذهبا إلى المكتبة مع الداهيين ، ووقفا عند حافة الجمع يستمعان في السمتعين .

وعلى عام ١٩١٠ ، فينتش لصاحبنا باب السياسة أول افتتاح . خلا مقعد في مجلس شيوخ ولاية نيويورك . وكان شغل هذا المقعد شبيحاً جمهورياً . وأراد الديمقراطيون أن يشغله ديمقراطي . فبحثوا عن رجل جمع إلى أسالة الاسم وخاتمة الرأى ، فوقعوا على فرنسكن روزفلت . وكان في الثامنة والعشرين . فأنهز هذه الفرصة لتدق في الباب لأول متدقق . وطاف بالولاية مطافاً فأنهز في سيارة . وكانت سيارات هذا العصر - ويوم هذا من حضر مقباً هذا العصر في مصر - سيارات لا تسكاد ثم سمع حتى صف ، ولا تسكاد أبداً حتى تلتحق . فكان روزفلت كما وفقت سيارته للإصلاح ، أنهزها فرصة لحظية قناس . وقار بالتمدد .

ولكنه لم يلبث أن خيب رأى الحزب فيه . فقد كانت مجالس الشيوخ بالولايات تختار مجلس شيوخ الدولة شيوخه . وكان الحزب الديمقراطي قد اختار رجلاً لمجلس شيوخ الدولة لم يكن ممن ترشح له كل الضائر . فرفض روزفلت قبوله . وترغم حركة تدعو إلى رفضه . واستشاط الحزب غضباً ، وهذت آتته جرس من يتصدى لحركتها . ولكن روزفلت محمد ، وصمد له أسداه له في الحزب . وانصر وانصروا أخيراً . فاختار الحزب رجلاً أقن بالتمدد وأولى .

طلبت الترفع عن الناس والتجاذج عنهم . رأى في ذلك الترفع غروراً ، ورأى فيه كذباً . واختبر عسواً في هذه الجمعيات فلم يثمنه ذلك من إعلان خطفه . وقاد الحلة عليها . وقد كان له أن يستمع بما يستمع الأعضاء منها . ولكنه لم يكن . استمتع بمرور ولا إقرار لأحد بمكافة كاذبة .

وما جاء عام ١٩٠٤ حتى كان روزفلت قد انتقل من جامعة هارفرد إلى مدرسة الحقوق بجامعة كولومبيا . وفي عام ١٩٠٥ بدأ عمله في القانون ، فالتحق بشركة المحاماة في مدينة نيويورك .

وفي هذا العام ، عام ١٩٠٥ ، وهو في الثامنة والعشرين ، وهو أملاً ما يكون حياً ، وأكثر ما يكون جمال رجولة ، وأهم ما يكون ثغراً ، تزوج زوجته التي كان لها في حياته ، وفي حياة الولايات من بعد ذلك دور غير قليل . وكانت هذه الزوجة ثيودور روزفلت ولم تكن بانه عنه . وإن أوم اسمها كان ، ولكنها من بنات أمهات البعدين . وكان عمها عند ذلك رئيس الولايات المتحدة، ثيودور روزفلت Theodore Roosevelt وهو الذي حضر إلى مصر من بعد ذلك ، وإليه وجه شاعرنا شوقي حديثه في قصيدته « أنس الوجود » ، حيث قال :

أبها التتحي بأسوان دأوا
كالتريثا تريد أن تنفضنا
اخلع التعل وأخفض الطرف واحتشع
لأعاول من آية الدهر عصا
وكان ثيودور روزفلت جمهورياً . وكان فرنسكن روزفلت عند ذلك ديمقراطي المي ، ثم كان ديمقراطي المسيح من بعد ذلك . فقد باعدت الداهب بينهما كما باعدت الأزحام .

وفي الحرب ذار أوروبا ، وزار إنجلترا ، واتصل برجال السياسة حينما ذهب . وجاءت الهدنة ، وجاء السلم ، فراهه عمله فيهما اتصالاً بالرجال . وعاد وتُسن إلى الولايات ، ومعه روزفلت ، وعصبة الأمم . وبدأ ولن حثته للكرة العسبة ، وعملها معه روزفلت ، نخباً جيماً . وجاء ميعاد الانتخاب لرأس الجمهورية ، فنصب الديمقراطيون روزفلت وكيلا لرئيس . وبني روزفلت وبني الديمقراطيون حلتهم على أساس العصبة ، وأساس اتخاذها نظاماً عالمياً يحدد علاقات ما بين الأمم على أصول من التسامح اتبعها هذا الديمقراطي الأكاديمي ، أستاذ الجامعة ، وخب لها ، وشُدع كما خُدع أبو موسى الأشعري ، قبل أن تُلأ قدماء ساحل الولايات عند عودته . وخاب روزفلت في هذا الانتخاب ، وخاب الديمقراطيون .

وصنع روزفلت بعد ذلك ما يصنعه كل غافل : انتهى

بأنه أنكر العهد الجديد أن يجرب خطه من جديد . وعاد

و جاء عام ١٩٢٦ فذاك أمر الله بهذا التنازلة الخيانية التي صدرت عنها هذا الحديث . وكان في الناحية والثلاثين . وحاملته أمه ، وحاملته زوجته بالرعاية . وغربا حوله هذا الجو الذي لا يضره غير الخلاء ، إذا سقط الساقط العز ، ليخففوا وقع السقطة ، وليصلوا ذلك الجبل الذي أقطع أوكاد بالحياة . وانضم إلى الزوجة والأم صديق صدوق - لويس هاوي Louis Howe - وجعل من واجبه إدامة الصلة بين صديقه والحياة العامة . ومضى عام ، وكان ، ومات ، والحركة في رحلته تأتي أن تعود ، ولكنك ظل ياسا مستبشرا

أحمد زكي

مفرقة :

في العدد القادم : روزفلت بعد الأربعين

ولم يكن روزفلت في هذا على حزبه متجنباً . فقد أعلن في البدء لخاربه أنه لن يرتبط برأي فرد ولا آلة حزب ، كأنما ما كان ، ما خالف ذلك رأيه .

وبعد عام فتنها الأحزاب للصراع على رئاسة الولايات المتحدة ، وبشخص الديمقراطيون ولسن - الدكتور ودروو ولسن Woodrow Wilson ، الرجل الأكاديمي ، أستاذ الجامعة ، ورئيس جامعة برنستون - يتخذونه مرشحاً لهذه الرئاسة . ويشترك روزفلت في الصراع ديمقراطياً . ويجهاد في هذا ذا روح الأعد ، تيودور روزفلت ، رئيس الولايات الأسبق ، فقد كان ينتصب مرشحاً جمهورياً . ثم يخفق تيودور ، ويغوز ولسن في الصراع . ويغوز فرسكلن روزفلت ينتصب في وزارة حبيبة إلى قلبه من أيام صباه . ذلك منصب سكرتير مساعد في وزارة البحرية .

كان هذا عام ١٩١٣ . وكان روزفلت في الحادية والثلاثين من عمره .

وتأتى الحرب العالمية الأولى ، حرب عام ١٩١٤ . وتأخذ تقرب من شواطئ الولايات كما اقتربت هذه الحرب الحاضرة . وبأخذ روزفلت الشاب بؤس من اقترابها خيفة ، كما أوجس خيفة من مثله في هذه الحرب الحاضرة . ويحاول أن يقنع رئيسه رئيس الدولة ، ولسن ، بالتوسع في الأسطول ، والاستعداد قبل القوات . ولم يقنع ولسن إلا بعد أن كثير من نابه الشر ، ولم يعد بعد من الحرب مفر . وعندها أنفق روزفلت ماله في إعداد الأسطول للززال . ودخلت أمريكا الحرب . ولم يكن يستقيم من ذلك بعض ما نعظم . ولا شك أن كان في هذه التجربة الأولى ، في تلك الحرب الأولى ، خير معين لتجربته هذه الثانية ، في هذه الحرب الثانية ، والوقوف واحد ، والعدو واحد ، وله مكان ولسن ولأسنة كثيرة .

زعماء الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر :

٤ - مدحت باشا

هذه الباجرة «عز الدين» تمخر البحر لتغرق به في ثمر من تمور أوروبا ، وقد ضاعت كل آماله ؛ فشكل ما حذر من تقدير في الثورة ونتائجها ، والدستور وثيقه ، والسلطان عبد الحميد وخضوعه لإرادة الأمة ، قضى عليه في لحظة ، وزال من الوجود في لحظة ، ولاددت الدولة إلى ما كانت عليه قبل جهاده المتواصل ، وكدمه المتتابع ؛ وكل ما في يده الآن غضب السلطان عليه وعلى أتباعه ، ويمدحه عن أهله ، ونجده من ماله .

لو أن أي إنسان عادي آخر مكانه لمن الإصلاح والمصلحين ، وترك الدولة في حراء ظلم سلاطينها ، وانتظر حتى يلتقي بمظهر القصاد بعد أن كسبها ووجعها ؛ أصبح فلم يتصالحوا ، وأتذر فلم يتصالحوا ، فارتدت نفسه بصدق ما نلتها ، وحدث ما أظن . ولكن لم يكن مدحت في شيء من هذا ، فاصرت هذه الحواطر بنفسه حتى طاردها ، وأخذ يفكر من جديد في وسائل إصلاح ما كان ، وهجم من نفسه فوصفها بقوله : « إن حب الإصلاح قد اختلط بدني فشكل كالمرض للزمن لا يبرأ منه »

فكر سريعا ، ووصل إلى النتيجة سريعا ، فرأى أن روسيا تحارب بلاده وتجميع لها جيوشها الجائرة ، وبذهب القيصير بنفسه إلى ميدان القتال لتخمس الجند ، والدول كلها تنكباً بصبرتها ، فواجهه - إذن - أن يؤكّد الدول على روسيا ما استطاع ، وبين لسكل منها الأصرار التي تنالها من عزعة الدولة العثمانية ، وتديل خريطتها ، فهو في أسبانيا ينصل بساسة إنجلترا وفرنسا ، ويحاول إقناعهم بأرائه ، ثم يذهب إلى إنجلترا لهذا الغرض ، ويبرق إلى اللابن ويقول : « قد سمعت مدة إقامتي في عاصمة بلاد

الإنجليز بما يعود على دولتنا بالرفع ورفع شأن حكومتنا ، وحاولت إقناعهم بمقد صلح يحفظ الدولة وعظمتها ، وأقتصر أي وقت إلى ذلك بعض التوفيق . ثم يذهب إلى فيينا لهذا الغرض ويبرق فيقول : « أما اليوم في فيينا » أبذل الجهد الترويج بنفس الساعي ... وآمل إخباري عما يوافق مصلحة الأمة لأستمع به على أمنيته الوحيدة ، وقد وقتت حياتي لتخليص الدولة من ورطتها ، وأنا قادر على القيام بأعباء ما يطلب مني ، ومصلحة الوطن تضطرق إلى ذلك .

وكانت تعرضه صعوبة أن بعض الدول ردّ عليه بأنه ليس مفوضاً ، ولأنه صفة رسمية يتكلم بها ، وأنه ليس إلا رجلاً مفتياً ، فطلب من الدولة تصحيح موقفه لإتمام مساعيها فلم يجد مجيهاً .

وأغرب ما في الأمر بعد ذلك أن زفّ إليه « ناظر التشریفات » بشرى أن السلطان ذكره بمحضه ، وسأل عنه . فكتب « ناظر التشریفات » : إنه في حالة نفوس يتنظم من بلد إلى بلد ، ويبيت بالقرض ، فظهرت رقة قلب السلطان وبكى ، وقال أرسلوا له ألف ليرة ؛ ثم يختم الخطاب بأن يطلب منه شكر السلطان ، وتفرغه إليه بالنعو عنه .

فلن السكين « ناظر التشریفات » أن كل النفوس ذليلة كذلته ، متفقة ككفّه ؛ ولكن هذا الخطاب وقع من نفس مدحت الأية موقع السهم السموم في القواد الجرح فهاجم وثار ، وردّ عليه فقال :

« لقد عبرتم السلطان عن حال بأنها حال يؤس يلتقل من بلد إلى بلد ، تستدرون بذلك شفقتي ، وهذا وصف لا يوصف به إلا قاذف الشعور آفاق ، لا رجل مثل عمل ماحل وتولى الصدارة بمجادرة .

وأنا كما وصفتم من أسباب عيشي وفقرى ، فقد اقترضت عشرة آلاف فرنك من خرساكي في نابولي ففدت ، وأنا اليوم أسبي في فرض جديد أسد به رفق ورمق

لا تزال تذكر من أهل البلاد التي عمل فيها بالجد والثناء ،
 لقد ولي العراق ، وولي سلاطيك ، وولي الشام ،
 وولي أزمير ؟ وكان له في كل أولئك خطوة واحدة ، بعد
 — أولاً — إلى الأشقياء الذين يمشون بالأمن فيضربهم
 ضربة تتخلع منها قلوبهم وقلوب أمثالهم ، فإن الأمن شامل
 والهدوء عام . ثم ينشر العدل بين الناس فيطمئنون على
 أنفسهم وأموالهم ، ويعمل بالشورى فيحيط نفسه بتجلس
 من خيرة الولاية يستشيرهم في أمورها ، ويجريهم على قول
 الحق في صراحة ، ويعلمهم كيف يعالجون المشاكل ، ثم
 يصلح الطرق ويربط الولاية بشبكة محكمة ، لأن ذلك يعين
 على الإسراع في ضبط أمورها ، ثم يضع الخطط لاستغلال
 منابع الثروة في البلاد على خير وجه ، كل ولاية بما يناسبها
 حتى يزيد نجاحها على تقاضها ، ويأخذ من المال الناتج في
 إنشاء المدارس ونشر التعليم ، وهو عمله هذا يضع نواة
 الطرق في بلاد قضاها الجهل وكادت تنم الأمية .

هذه خلاصة كتاب أهل ما برحت له أنه خير من
 نصير عن قوة مدحت وعقلته ورؤيته وحسن فهمه
 لقد وصف « ملوك الشرق » هذا الخطأ بآراء
 بأنه كالمروءات غفلت من حليها ، وغسرت من ثيابها ،
 ولكن أين يكون الجمال إذا لم يكن هذا جليلاً ؟ وفي الحق
 أن هناك عيوباً لا ترى الجلال الحق في الإبا ، والشم ، وإنما
 ترى الجلال للتصنع في التفاني والخلق
 كان يوماً يدعاه في الرب عند صديق له من دول
 الإمبراطور ، وإذا سفير الدولة العثمانية في إنجلترا يتسائله ؟
 ويبلغه أن السلطان سمع له أن يقيم مع أسرته في جزيرة
 « كريد » ، فذهب إليها وعاش فيها مع أسرته نحو شهرين .
 ثم عين والياً لسورية ، ثم لأزمير ، ثم كانت مأساة التي
 حتمت بها حياته كما سنبينه بعد .

ومن طريق آرائه أنه عرف أن « بالتصنع » كنزاً
 مدفونة ، فيها كثير من الأحجار الكريمة كانت تزين بها
 الأضرحة والشاهد قد أخذت أيام هجوم الرومانيين وهدمهم
 للقبور ، فأخرجها مدحت ، وقومها الطيار ، مما يزيد على
 ثلثمائة ألف ليرة ؟ فالتج مدحت بيعها وإنشاء خط حديدية

أسرى في الأسنة ؟ ولكن لمور بذلك ، فقد ولدت عاري
 الجسد ، وساميت عاري الجسد ، وأنا ابن الخاج أشرف
 أفندي ونعم السب ، ومع هذا فلا أفسب إلا إلى الله ،
 ودجيري أتى عاهدته أن لا أقول إلا الحق . ولو أومسلي
 إلى مثل ما ألقاه الآن من الشدائد .

وما الذي فعلت من إجرام حتى أنقلب العفو ؟ لقد
 سميت في تولية السلطان مراد بعد عبد العزيز ، قد مرص
 سميت أن يجلس مكانه السلطان عبد الحميد ، وكان جلوسه
 مفروفاً بإعلان الدستور ، ووضع خطط الإصلاح .

« ومنذ خروجي من الأسنة وأنا أفكر في الدولة
 وسبل إنقاذها من الهالك ، ولا أفكر في نفسي ، فإذا
 في هذا مما يستتر منه ؟ »

« لقد بلغت السادسة والخمسين ، ولا أمل لي في الحياة ؟
 فلم يتجاوز أسلاني الستين ، فأبى مدودة وكل رجلي أن
 أعيش منفرداً ، وأدعو لولي العلم الأعظم . »

هذه خلاصة كتاب أهل ما برحت له أنه خير من
 نصير عن قوة مدحت وعقلته ورؤيته وحسن فهمه
 لقد وصف « ملوك الشرق » هذا الخطأ بآراء
 بأنه كالمروءات غفلت من حليها ، وغسرت من ثيابها ،
 ولكن أين يكون الجمال إذا لم يكن هذا جليلاً ؟ وفي الحق
 أن هناك عيوباً لا ترى الجلال الحق في الإبا ، والشم ، وإنما
 ترى الجلال للتصنع في التفاني والخلق

كان يوماً يدعاه في الرب عند صديق له من دول
 الإمبراطور ، وإذا سفير الدولة العثمانية في إنجلترا يتسائله ؟
 ويبلغه أن السلطان سمع له أن يقيم مع أسرته في جزيرة
 « كريد » ، فذهب إليها وعاش فيها مع أسرته نحو شهرين .
 ثم عين والياً لسورية ، ثم لأزمير ، ثم كانت مأساة التي
 حتمت بها حياته كما سنبينه بعد .

هذا هو المود الفيرى في حياة مدحت ، وله بحال
 هذا أعمال فرعية في الولايات التي تولاها ، وهي أعمال خالدة

فشكل الجميات ، وجمع الإعانات ، وفتح المدارس ، وأصلح المساجد وجعلها مدارس ، ووضع عقوبة لولى أمر الطفل إذا بلغ ابنه السادسة ولم يرسله إلى المدرسة ، واستعان بأموال الأوقاف في أمور التعليم ، وتأسست في عهد «حمية القاصد الخيرية» وانتشرت شعبها في البلاد . ولما حاول الإصلاح الاقتصادي والإدري اصطدم بالدول ، فكانت فرنسا صاحبة امتياز لبنان ، وكانت الحكومة العثمانية خصصت لها خمسة وعشرين ألف ليرة من إيرادات حاكم الشام ، فكتب إلى رئيس الوزارة يقطع هذا المبلغ فمضت فرنسا ، وهكذا وهكذا من مشاكل ، والتماسات تحاك حوله ، وتشتاع الإشاعات بأنه يريد الاستقلال بسوريا ، ويستدل على ذلك بأن هانقا غنط «فليجي مدحت باشا» ، وأن كاتبها كتب «الخدوى مدحت» . ولذلك لم يتمكن من الإصلاح في الشام كما تمكن منه في العراق ، مما لاقى من الكفاء في الداخل والخارج . فبأنه للمصلحين

والذين تقام إلى أزمير ، فلم يطل بها مقامه حتى كثر له الحجة .
فقد حصل الخمين من وفاء السلطان عبد العزيز تحركت السألة من جديد ، وأشييت الإشاعات أنه لم يتجر وإنما قتل بإيثار مدحت وأصحابه . وبلغ مدحت وهو في أزمير أنه يراد القبض عليه والتحقيق معه ، وكتب إليه صديق له «فاخرج إلى لك من الناصحين» . وعرض عليه بعض أصدقائه من الأوروبيين ركوب باخرة معدة وسفر إلى الخارج فرفض وقال : «كيف أترك الأفرار الجرحى على نصيب هامن العبيحة» . وبنما هو بأزمير في داره إذا بالجنود تحيط به ، ويقبض عليه ويرسل إلى الأستانة لحاكمته بهمة الاشراف التي قتل عبد العزيز . من عهد أن تولى السلطان عبد الحميد ، وهو لا يأمن جانب مدحت ، ومن لف لفه ، ويخشى جد الخشية أن يمينوا معه فتبطل دور عبد العزيز ، وبلغت به الخشية حد المحرم ، فكل قوى المملكة من مال ورجال وصنع وبصر مستغرة للمحافظة على شخصه ، ومراقبة مدحت وأمثاله ،

بشمتها بين النجف وإيران (لأنه كان قد اشترك في الشيعر بها كثير من القرس) ، فلم يوافقهم العلماء على ذلك فبطل المشروع . كذلك من طرائفه أنه ألف مجلساً لاشورى في بغداد يرجع إليه في أمور الولاية ، ولم تكن الناس تألف الجهر بالرأى والشجاعة في القول ، ولا تعلم بحال الولى شخصية ، فجمعهم يوماً وقال لهم : إلى أرى الحاجة ماسة إلى استئذان الباب العالي في زيادة الضرائب لتنفيذ ما نرى من وجوه الإصلاح . فإذا أروا ؟ قالوا جميعاً موافقون . وهذا هو الرأى ، وهى الحكمة ، فكتب بذلك محضراً وختمه بجميعهم ، ثم جمعهم في اليوم الثانى وقال : لقد فكرت في أمر زيادة الضرائب فترأى لى أنها ظلم فادع لا يستطيعه الناس ، ولكن محضر أمن أرسل ، فإذا أراهم هذا الرأى ضوياً كتبنا آخر الحقائق به ، وبينا الأسباب الموجبة لتفقد ، فقالوا باسم الرأى ما رأيت ؟ وقوموا على الثانى كما وقوموا على الأول . فأمسك بالحضرين هذا بهذا وهذا بيده . وقال : والله ما أراسته ولكن أردت أن أخرجكم من قيمة المجلس إذا وجهتم دأماً إلى رأى واحد . ثم أتى عليهم درساً قاسياً في الحرية وقوايدها ، والخصية والكويتية ، والاستقلال في الرأى ومزايده .

وكانت ولاية لشام أصعب ، فقد تولاهما في العهد الحيندى بعد حوادث مع عبد العزيز وإنهائه بالجمهورية ، وعدها السلطان والمابين والوزراء له ، كلهم يترصد به الدوائر . ثم مشاكل الشام أعقد من مشاكل العراق ، فهذه مشاكلها بدو وعشار ، وعلاقتها بإيران ونحو ذلك ، أما مشاكل الشام فأخطر : أمور لبنان متصل بفرنسا ، وأمور الفروز متصل بالبحر ، ولكل دولة مصالح ومدارس وكنايس ، وغير ذلك . فكان أول ما لفت نظره ما ذكر من «أن مسلحها قد فشا بينهم الجهل . . . ومدارس الإفرنج تقدم كل يوم تقدماً ملفوساً ، وليس للحكومة سوى بعض مدارس ابتدائية يقرأ فيها الأحداث القرآن ، فكنت أفكر في أمر تعليم أبناء المسلمين وإصلاح مدارسنا» .

لأن من قدر على البدء كان أقدم على الإمامة . وأخيراً انتهى هو وأخوانه لقصاء على مدينت وأصحاب هذه التهمة ، قد رتبوا كتبهم ، ورتبت شهودهم ، ورتبت حملة الإيقاع بهم . وبعد محاكمة صورية حكم عليهم بالإعدام ، فتوسط الإنجليز وبعض سفراء الدول فاستبدل بالإعدام التي ، ووضعوا في باخرة سارت بهم إلى جدة ومنها إلى الطائف . وأهبطوا في يوم خروجهم من الآستانة بالتضييق عليهم في ما كانهم وملبسهم ومتاعهم . وسجنوا في قلعة الطائف ثلاث سنين ، وأجرى عليهم العذاب ألواناً ، وكان مر عليهم زمن وهم أحياء زادهم تضييقاً حتى يموتوا . ومن اشتد من الضباط عليهم رقى ، ومن أخذته الشفقة عليهم أبعد . ومدينت يرسل الكتب إلى أهل يطلب منهم مالا يفتات به ، ويبدل كثيراً من الحيل في إيصالها إليهم ، وإذا أرسلوه لم يصل إليه . وغاية من سادة الأقوم منهم مدينت يمشون على صحن من « شورية » مصنوعة من الماء وورق الذجيل في الصباح ومثله في المساء ، يربدون بذلك حتى يشعروا جوعاً فلا يموتون . وأخيراً ساق ولادة الأمور بهم درعاً ففروا أن يسموهم ، ولكن مدينت وجهه يكشفون المؤامرة . فلما أعينهم الحيل أوعزوا بمنقه لظنق . وكان آخر ما كتب إلى أهل كتابها ، فيه : « سيكون هذا الكتاب آخر ما أكتب فيها أظن .

فقد أخذوا منا الأظلام والداد والورق ، وضيقوا علينا الطائف ، وقصدوا تسميتنا واحداً بعد واحد ، ولكن ظهرت بينهم .

ولا بد أن يصلوا يوماً ما إلى عرشهم . فإذا جاءكم خير وفاق قبل كتابي فلا تحزنوا . وأنا أرجو من الله العفوة فقد مت فداء الوطن ، وأستودعكم الخالق الباقي » .

قصي مدينت حياته كلها في الإصلاح الاجتماعي ، يختار من البداية الحديثة أحسن ما وصلت إليه من تنظيم الحكم على أساس الشورى التي تنفق وتعاليم الإسلام ،

ويأخذ جبر أساليبها في نشر العلم وتنظيم الحياة الاقتصادية للبلاد ، ويراعي في ذلك كله مستوى الأمة ومقدورها على الاختصاص ، فيعجل ما أمكن ، ويؤجل ما لم يمكن إلى أن يمكن . ويجوز ما يأخذه حتى يتفق وعقلية شعبه ، ويبتدئ من العذاب بصيغه في هذه السبيل لأنه يربطه بتقيده الدينية . فالدين في نظره ليس صلاة وصوماً فقط ، ولكنه مع ذلك حمل ظهير لشعبه ، ولا خير أرقى من الأخذ بيد الأمة لتتبع حقوقها وواجباتها ، وتصور على من يقف عقبة في سبيل تقدمها - ومن أجل هذا كان هادئاً مطمئناً مستشيراً ، وهو في مقام يرتقب الموت من ساعة إلى ساعة ، يقول لأهله في بعض كتبه : إني أقرأ القرآن وأستعيد حفظه ، وأستعذب تكرار آية « ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه » وأعدّها أكثر عزاء لي ، وأهزأ بما أسمع من هجاء واقتراء ، فقد سمعت كل أموري لذي . إن الحياة محدودة وهي كالأعوبة ومحتة كالحطب عليها ، ولنا أسوة في الأنبياء والأولياء الذين فعلوا ما فعلوا فصبروا على ما أصابهم . فإذا فرغ من عباداته ، دوّن بعض مذكراته .

وقد خدمت أفسكاره شناعة وفاته أكثر مما خدمها جهاده في حياته ، فقد ألمت النفوس الحيرة بما أصابه أذاً محضاً ، وتماحجت النار في أفئدتهم ، وأفئدتهم من يتصل بهم ، وكانت أحداث الظلم التتالية تغذيها بالوقود ، فلما التهمت التيران التهمت عبد الحيد كما التهمت من قبله عبد العزيز ! بل لعلها أيضاً هي التي التهمت فكرة الخلافة من أساسها فيها بعد .

والآن لننتقل بأجهزتنا إلى مصاح آخر من صف آخر ، هو السيد جمال الدين الأفغاني ، وبالي اللقاء .

أحمد أمين

لى لذة فى ذلتى ...

لحود الآثار أسباب وثيقة ، ولتخليدها دواع قوة ،
وقد يكون الأثر وسطاً أو دليلاً فى حقيقته ، فإذا تهيناً
له سبب من أسباب الخلود ، وداع من دواعي التخليد ،
استجعت فيه قوتان تكفلان له بالعلو والعلو ، فيكون
غير نفسه بالأمس ، ويرتفع عنه منذ اليوم الجديد على غده
القديم ، وهذا أمر مشهود أبداً ، ملحوظ فى أكثر
الأشياء ، وقدما قال قائليه : « والتبر كالتبر ملق فى
أما كنهه » ، و « التلوث الرطب فى الأحماض كالخمر » ،
و « العود فى أرضه نوع من الخطب » . هذا فى الأشياء
المستعملة التى يقبها الاستعمال أو يقبها قيمتها الانحلال ،
أما الآثار الثمينة كالنقش والفنسة والشعر والنثر الأدبى
وفنون الأدب الأخرى ، فعلى التى تركت على من الدهور ،
وتصلو مع كثر العصور ، ولا تخلو عهودها وأزمانها
من فترات يعينها التنازع فى الكمال والافتخار فى
الاستقلال ، فكلان حسنة بقاء الأصابع ، وطبيعة فوز
الأصابع ، وقبة أخرى اليمالى وأبد الأبد . والأثر الخالد
هو الذى استجعت فيه أكثر أسباب الكمال النسبى
أولاً أو آخراً ، وأمثلاً أو اكتساباً . وموضوعنا فى هذه
السكبة المكتوبة « الشعر » فإنه يقب عنه وينخفض
ويرتفع ، ويضيع ويشتع ، وينحط ويعلو ، بحسب الأسباب
القائفة له التى تعتمد على الزمان وأهله ، والأهواء الأدبية
والأطوار القوية . ومن أسباب كمال الشعر التى ذكرها
قدما الأدباء أن تكون « ألفاظه متخيرة ، ومعانيه
منتخبة ، وألفاظه عذبة ، ومخارجة سهلة ، ودباحته كريمة ،
وطبيع ناطقه متمكنة ، وسبك جيد ، وأن يكون له ماء
ورونى » (١) . ولكن هذا القياس غير مطرد ، وذلك لظفر

غير لازم ، فإن للكمال أسباباً لا تقب ، ودواعى لا تخصى
ولا يحاط بها . قال الأديب الكاتب أبو الحسن على بن
الحسين الأثير العروق فى تحت المفسرى من معاصرى
أبى إسحاق الصابى : « فلو ترك الناس أغراضهم من
النظم والنثر ، والحد والمزل ، اعتقاداً على السابقين الأولين
لما ت (٢) الخواطر ، وسقطت المعجم ، ولكن لسل جديد لذة »
ولسل حديث بهجة ، كما أن كل قديم يسام . . . قالت
إذا تأملت شعر امرئ القيس وجدته قد سبق إلى كل
معنى نادر ، وذهب بكل فضل باهر ، ولم يترك لى لينة
محالاً يشق فيه قياسه ، ومقالاً يبلغ به شأوه . ولا ترى
اليوم (٣) أكعد من ديوان شعره بالعراق ، وقد صارت
الزينة كلها فى ديوان أبى فراس والصورى وكشاحم
والنابى وأشباعهم من شعراء الوقت (٤) . فاللذة ، عند
الكاتب هذا ، كانت سبباً فى إقبال الناس على شعراء
الزمان . قلت بحرى هل من الأدباء اليوم من لا يعرف
الذلة فى قولها « لى لذة فى ذلتى وخضوعى » ؟
وهل كان سبب معرفة الأدباء لها كونها جديدة ؟ ليس
الأمر بذلك ، وإن ادعاء مدع فليس هناك . لأن الذى
رفع عن هذه الأبيات ، ورجعها إلى الحياة ، وأولع بها
الشيوخ والفتيان والفتيات ، هو النفسى بصوت معنية
عربية فاعية باهرة ، محبذة قادرة ، فذلك الذى خلده هذه
الأبيات الوسط ، ورفعها من عوّة الجود إلى قمة الخلود .
ومن سعادة الشعراء أن يقب شعرهم ، فإن التقى بالشعر
زيد فله الأديب « عشرين مرة » لا عشر مرات ، ولذلك
يكون من الصعب أن يقابى بين شعر غنى به وشعر

(١) كذا ورد باللام والهمزة من دونها ، وهو لينة
الفرقان الكريم . (٢) فى القرن الرابع للهجرة .
(٣) أسول التاريخ والأدب ، ج ٢٦ ص ٤٣ . نقله من
كتاب « المصنوع اللطيف » لأبى الدولة محمد بن محمد بن عمة الله
الأفصى القاضى السامى .

آخر لم يلبس حُلَّةَ الفناء ، ولا نُفِخَ فيه رُوحُ الفناء .
 وصاحب « لآلئ في ذاتي وخضوعي » من السعداء ، لأن الله قد هبَّ له سبباً جليلاً لتخليد شعره ، ولكن كثيراً من الناس لا يعرفون صاحبه — أعني صاحب الشعر — فمن الواجب الأدبي الذي قبلنا مثله من العلماء والأدباء أن نذيع ترجمته بين الناس فنقول :

هو شاعر بغدادي اسمه « أبو الحسن سعد الله بن نصر » وقيل نصر الله بن سعد بن علي بن الدجاجي ، ذكره أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه ^(١) ، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الديهي ^(٢) ، وقاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الكتاني في تلطقة الشعراء المحدثين ^(٣) ، وصلاح الدين الصفدي في الوافي بالوفيات ^(٤) وإن شاعر الكتبي ^(٥) وغير هؤلاء المؤرخين ^(٦) . ولد ببغداد المطالب الشرقي منها سنة ٤٨٢ أو سنة ٤٨٠ ، وبها نشأ وتأدب ، وتفق على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ودرس الوعظ والتدبير ، وقرأ القرآن الكريم ثلاثاً وثلاثين مرة .

رُحِمَ له ببغداد الشيوخ أن يتصور محمد بن أبي الخطاب ^(٧) . وقرأ أيضاً على الرئيس أبي الخطاب علي بن عبد الرحمن بن الجراح ، وسمع الحديث منهما ومن أبي الخطاب محفوظ بن أحمد السكاوي فقيه الحنابلة في عصره ، ومن غيرهم ؛ وروى فيما رواه مسند الإمام ابن حنبل ؛ وروى ببغداد ستمين كثيرة ، وأقرأ الناس القرآن المجيد ، وحديث بالأحاديث النبوية . قال جمال الدين الديهي في تاريخه : « قرأت على أبي الفضل محمد بن أبي نصر المقرئ » ، قلت له : أخبركم

لي من حوى قد كنَّ بين صلوي
 وأحبَّ بين يديك صفك دُمُوي
 ونفسي في رأي عينك راحة
 لي من حوى قد كنَّ بين صلوي

عسى أسأت فأب عقوق سيدي
 عمن رجاك قلبه الوجوع
 جد بارضاً من عطف لطفك وانعم
 بجبال وجهك من سؤال شفيع

ومن شعره وقد حانس فيه :
 بلسنكم مهجتي يمعاً وفسدرة
 فأتم اليوم أغلال وأمل لي
 علوت نظراً ولكني صنبت هومي

الحكم هو إعلالي وأمل لي
 أوصي لي السنين أن أشق بحسكم
 فلتقطع بين أوصالي وأوصي لي
 وأن هذه الأبيات التي فبحتها غنائه الحساس وركاكة
 الالتياس من تلك الأبيات ١٩ على عدتها باستحالة القياس .

(١) المشتمل في تاريخ الملوك والأمم ج ١ ص ٢٢٨
 (٢) ذيل تاريخ بغداد ، أصول الأدب والتاريخ ج ٢ ص ١٦٦
 (٣) ذلك المرجع ج ٤ ص ١٣٤
 (٤) ج ١ ص ١٦٦
 (٥) فوات الوفيات ج ١ ص ١٦٦
 (٦) كتاب الإسلام في سده السعدي في تاريخ بغداد ، ومن المطالع أبي الحسن عمر بن أبي الحسن القرشي الصفدي في تاريخه

كَمْ مِنْ نَحْمٍ مِنْ بَيْنِ أَطْرَافِ الْقَنَا

ورعية سَلَمَتٌ مِنَ الصَّرْعَامِ ؟
قال مصطفى جواد الكاتب لهذا : وترك أبو الحسن
الدجاني أباه له ذكر في تاريخ العلماء ، ولعله ترك غيره .
وروى عنه جماعة من العلماء ؛ ومن روى عنه مسند الإمام
أحمد بن حنبل العلامة محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني
عالم الشيعة في زمانه ، فقد ذكره في أول كتابه « مناقب
آل أبي طالب » ، وأثبت أنه روى الكتاب المذكور مع
الفضائل عنه ؛ ولكن اسمه تصحّف على طابع الكتاب
وهذا نصه : « إسناد مسند أحمد عن أبي سعد بن عبد الله
الدجاني عن ... » ^(١) والصحيح « عن أبي الحسن
سعد الله الدجاني » ، ونقله العلامة المجلسي مصحفاً ولم
يذكره ولا أصله . طابع كتابه ^(٢) ، وقد بين الصبح
أنه خطأ « والله الموفق لصواب القول » .

مصطفى جواد

١- « مناقب آل أبي طالب » ج ١ من ٦ « من عبيد الله »
٢- « مناقب آل أبي طالب » ج ١ من ٦

قال قاضي القضاة عز الدين بن جماعة السكافى :
« وكان من أعيان الفقهاء والقضلاء ، وشيوخ الوعظ النبلاء
وكان يخاطب الصوفية ويحضر معهم جماع العلماء على عادتهم » .
وقال ابن السبكي : « انتقل إلى الحلب الغربي (من بغداد)
قبل وفاته وسكن باب البصرة إلى أن مات » . وقال
أبو الحسن عمر بن علي القرشي المشقي : « وتوفي سنة
أربع وستين وخمسة ودفن قبل ذلك اليوم » . وقال
أبو الفرج الجوزي : « توفي في شعبان من هذه السنة
(٥٦٤ هـ) ودفن إلى جانب رباط الروزقي في إربلاء »^(١)
الصوفية ، لأنه أقام عندهم مدة حياته ؛ فحق على هذا خمسة
أيام ، وما زال الحنابلة يلومون وآدء هذا ويقولون ؛ متى
هذا الرجل الحنبلّي ؟ شيء يصنع عند الصوفية ؟
فتبينته بعد خمسة أيام بالليل وقال : كان قد أوصى أن
يدفن عند والده . ودفنه عندهما . ومن أخباره
الطريفة أنه سئل في مجلس وعظه عن أخيه الحسن فقال :
عن الترمذي لما أمر بالقسام ، وأبى .

أبي الغائب الضبان يا نفس أن : روى في « مناقب آل أبي طالب » ج ١ من ٦

وأنت التي سبوت طاعة فوسا
ولا تهجري من لا تطيق هجرة

وإن تمّ بالهجران خذل والأرض
وقال : كنت خالفاً من الظليّة لحادث زل ،
فاحتضيت فرأيت في المنام كافي وعرفة ، قال رجل فوفت
بإزاني وقال اكتب :

إدفع بصبرك حادث الأيام
وترجّ أعطف الواحد الصلّام
لا تياسن وإن تضايق كربها
وَرَمَاكَ رَبٌّ صروفها بسهام
قله تعالى بين ذلك فبرجة

تعلق على الأبدان والأرواح

(١) أي إربلاء ، ألم .

العدد الرجبري المختار

لمجلة الأنصار العربية الإسلامية

يصدر قريباً بعد تأخره القهري لأسباب قتيّة

الكاتبات : القاهرة — ٢٤ شارع النكاح

وظائف الدولة

قرأت في « الثقافة » مقالاً عن تدخل الدولة يقول كاتبه إنه راجع تاريخ الهند والصين واليونان في العصور القديمة ، لموجد أن تدخل الدولة في حياة تلك الأمم أدّى إلى انحطاطها ، ولكنني لا أعرف في تاريخ تلك البلاد أنه قد قامت بها في العصور القديمة حكومات موحدة ، وأنه قد كان هناك تدخل من تلك الحكومات . وأنا أترك جانياً الهند والصين ، وأتاريخ تلك البلاد القديم لاخره لأنا ولا يرى على نحو يمكننا من الحكم على علاقة الدولة بالفرد ! وأما اليونان فأنا أعلم أنه لم يكن بها قدما غير مدّ كاتينا وإسبرطة وطيبة ، وكانت كل مدينة تتركز دولة ، وفي أهم تلك المدن وهي أثينا كان الشعب هو الدولة ، فالشعب هو الحاكم لنفسه المتدخل في أمر نفسه ، وكان في أثينا أيضاً

وأما القرون الوسطى وأواخرها (عصر النهضة) التي فيها نشأ
النهضة الإنسانية من سكن هذا الدول ، وإن فلتت لهم
كيف يتصور تلك الدول التي لم توجد في حياة الشعوب ؟
ولما الذي يعرفه عن أن "الحضارات الممتدة" هي التي وجدت
تصرفت في الأفراد .

بقيت المصنوعة الحديثة ، ومن الغريب أن يقول الكاتب
 إنه لم يجد ٥ مؤلفاً ، ولا مشرفاً ولا كاتباً ٥ ، إلى أن دخل
 الدولة بصرامة ، وأما طبعاً كيف أتى أن أكون الجيئي
 في هذا الميدان ، ولكنني لنوء الحظ قد شئت إليه .
 سبقني إليه عشرات بل مئات من كبار الفكرين . سبقني
 شعلانيه ، ولويس بلان ، وكورنيل ، وروبرتس ، ولانال
 وقتجر ، وكثيرون غيرهم ممن يهدم الكتاب الفاضل في
 جميع الكتب التي تتحدث عن تاريخ المذاهب السياسية

(9) $\alpha_0 \neq 0$, $\beta_0 = 0$.

وأنا أحد الساعية إلى أن أتت الفجر إلى ما في
الأمم المتقدمة من خطر. وليس أفضل لصدقات الحامية من
المثل من الأوروبيين في غير فهم واضح لاعتبارات التاريخ
والبيئة. فبالله جوسلاف ليبون من سر تقدم الإنجليز
السكسونيين وتختلف الشعوب اللاتينية كلام قد تم قدا تجد
في أوروبا اليوم من يؤمن به + فالزم قد تغير + وجميع الدول
ليس الآن راسية أو كرامة نمو التدخل في كافة مرافق
الحياة. حتى الإنجليز أنفسهم في سبيل المدول عن مبدأ
الحرية، حتى نستطيع أن نقول إن حزب الأحرار قد مات في
إنجلترا حيث ولد، وإن نظريات سمث وبيكاردو وغيرها قد
دخلت في حكم التاريخ. ثم إننا غير نقت الدول : تاريخنا غير
العلمي، وتاريخنا غير تربيتهم، وأخلاقنا غير أخلاقهم،
ليس لأمر أسس مناقشات نظرية وتصميمات لا حتى لنا
العلمي أسس حقائق واقعية.

فإنه وإن يكن من المفهوم أن المحلات كانتقافة أو
عمرها ليست متماثل لتدريس ، إلا أنني مع ذلك سأحاول
إيضاح معنى تدخل الدولة في حدوده ونطاقاته لسبب واحد ،
هو أننا قد أوشكنا أن نساق في صياغة برامج لأحزابنا
تستند إلى أصول عامة في الحكم ، ولعله يكون من واجبتنا
دواجب غيرنا من المشتغلين بالسائل العقلي أن نوضحوا
السبل ويحددوا من الأخطاء ، حتى لا نفقد الغرائز
والشعوات الفطرية خيانتا العامة

منذ تدخل الدولة لم يعرف إلا في النصف الأخير من
 (١١) يتطلع مقرة الكاب أن يراجع على الأقل الكتاب
 التي يستخدمه جميع طلبة الحقوق في فرنسا ومصر بعنوان (تاريخ
 سيمون الأسيوطي) Histoire des doctrines économiques
 par Ch. Gide et Ch. Rist حيث نجد من صفحة ١٨٦ إلى
 صفحة ٢٢٥ فصلا عنصيا عن (اشتراكية الدولة) التي حينها
 تدخل الدولة .

القرن التاسع عشر، وقد كان ظهوره كرد فعل للذهب الحرة في الحياة الاقتصادية، ولكني أخرج من الجدل النظري الذي اشتهت فيه أنصار وأخصوم كل من المذهبين، دعنا نغفل في بساطة إلى وظائف الدولة لتحديد موضع الخصومة.

هناك وظائف ثلاث لا ينافي أحد في وجوب نهوض الدولة بها وهي: (١) الأمن الذي يحققه البوليس والحفر. (٢) سلامة الوطن التي يحميها الجيش (٣) تطبيق القوانين بإشراف القضاء.

والسكن هذه الوظائف ليست كل شيء في حياة الأمة، فثمة الحياة الثقافية التي ينهض بها التعليم، والحياة الاجتماعية بما تتبع من إقامة التوازن بين الطبقات المختلفة ورعاية حقوق كل طبقة، وأخيراً الحياة الاقتصادية من إنتاج وتداول واستهلاك.

فأما الحياة الثقافية، فليست أدنى من التي يعتصم أن يدعم الحكومة المصرية إلى صلب النخيل فيها حتى لا تنحط الأمة إذا يقول الكاتب إلى الخاسر في إتمام من يحمل الشعب قد يكون. ولكن ماذا يراد بالعمل في مصر؟ هل ندعو حكومتنا إلى أن ترد جامعة فؤاد إلى حالتها الأولى لتظل جامعة أهلية؟ هل نطأها بإغلاق جامعة فاروق لتترك الشعب يفتحها متى شاء؟ ولقد استشهد الكاتب برأي فؤاد باشا سراج الدين عن وجوب نهوض الشعب بحركة التعاون، ملعباً بحجبه على الشعب أن يكون تلك الجمعيات؟ ولكني أرى أن فؤاد باشا شديد الاهتمام بقانون التعاون وبينك التعاون، وبتطبيق التعاون، وبمجة التعاون التي يحتاجها الكاتب بأرأها؟ وما معنى كل هذا، أليس هو تدخل الدولة الذي صيقتني إليه الحكومة؟ ثم أو ما أرى أن الحكومة الحاضرة سياستها كلها تقوم على التدخل في كافة مرافق حياتنا التي أساسها ركود الإجماع الحكومي؟ والتعليم بنوع خاص، ألسنا نرى الدولة تهم

بأن تدخل فيما يزعجنا أن تدخل فيه. لقد اعتزمت دولتنا أن توجه الأجيال القادمة إلى ميادين النشاط المختلفة التي يصاحون لها، ففهم من سيوجه إلى مدرسة ثانوية صناعية أو تجارية أو زراعية أو فنية؟ وهذه خطوة شهدت الكتاب والسياسيين بل الأفراد العاديين يقتلون حولها في فرنسا أيام الوزارة الاشتراكية وزرارة ليون بلوم، التي لم تجرؤ أن تجعل «التوجيه المهني» إجبارياً مكثفياً بحملة مجرد نصيحة تسمى للأولاد والآباء. وإذا كنا قد وصلنا من التدخل في التمايز إلى هذه الدرجة فهل يأتي اليوم أحدنا فيقول إن أحد وزراء بحث الشعب على العمل، وبذلك تكون سياستنا الآن عدم التدخل؟ هذا فهم غريب وقفر في ملاحظة التيارات العامة في سياستنا، فليست حكومتنا القائمة كلها سياسية تدخل، وهي تدع في هذا إلى حدود لا تفرها وربما اقتضاها في غير هذا. القارئ أنما في بلاد أو أمريكا، في البلاد الأولى إذ كانت دولة القارئ لم تنشأ إلا سنة ١٨٨٩ فليس معنى هذا أنه لم تكن هناك هيئات حكومية تشرف على التعليم العام؟ وكذلك الأمر في البلاد الثانية فليست هناك وزارة المعارف لأنهم تركوا التعليم لأخصاص السلطات المحلية في كل ولاية. ثم مالينا وإنجلترا أو أمريكا. لكن في بلادنا، ما هي حالتنا وكيف نقوم القاسد فيها؟ أتركه للشعب أم ندعو الحكومة إلى العمل؟ هل تترك الشعب يدعو الأمية وينشر التعليم المهني ويؤسس الجامعات؟ أي عاقل يقول هذا القول!

وفي الحياة الاجتماعية نرى أن معتر يبلغ فيها الظلم الاجتماعي حداً كبيراً، وما أنا بحاجة إلى أن أثير القارئ بوصف حالات الفقر وحالات الغلاء التي نلاحظ جميعاً ما بينها من تفاوت مؤلم، وإذا كان العالم كله قد سار نحو التدخل لإصابات الطبقات المظلومة، أنا في نحن اليوم ونقول

كيفية بدورها عضو من مذهب بكافة ، ويصل بها إلى ذروة النجاح ! بل أو ما ترى إلى جميعات بدورها ليس لا يسب منها شيئا يذكر ومع ذلك نجحت أي نجاح ! فكر مثلا في لجنة التأليف . وأبعد من ذلك دلالة الجماعات الخيرية ، وها هنا إلى جوارى مستشفى المواساة الذي تآخرو به الإسكندرية مدن أوروبا الكبرى . أو ما تعلم أن الذي بناء رجل خير طيب الله تراه كانت وكبلا بالجرم بالإسكندرية ؟ وبقيت حجة أخيرة ، يقول إن الأفراد أو الشركات أقدر على الإدارة من موظفي الدولة ، ولكن ها هي السكة الحديدية في مصر ، وها هي شركات النقل ؟ من يستطيع أن يزعم أن شركات النقل تجمع من السكة الحديدية عددا ؟

والآن فلننظر إلى أحوالنا الداخلية . لدينا ثروات هائلة ، وأراضي يمكن أن تستصلح ، وقوى كهربائية يمكن أن تولد ، ومشروعات عامة من نزع وطرق ومصارف وما إليها . إن كل ذلك للشعب وتنتظر حتى ينهض بها ؟ وهل أصلا يمكن التجربة مساقط أسوان ؟ وبعد كل ذلك ترى من يفكرون في الهواء فيقولون :

لا : إن دعوة الدولة إلى التدخل معناه عدم تقبلنا كأفراد بأنفسنا : معناه أننا ضعاف ، وما إلى ذلك من كلام فارغ . وأفرغ منه ما يجاريه البعض من حرية الفرد : كأننا في بلاد ينجى حرية الفرد فيها شيء . يذكر أ قد فلت في مقالتي التي يتفقد الكاتب إن من واجب الدولة أن تمنح الفرد من الدولة ذاتها بأحد أمرين ، فإما أن تعطى القضاء العادي حق حايته من الحكومة حماية فعالة ، وإما أن تلتشى قضاء إداريا يختص بتلك الحماية ، لأننا كما هو معلوم لا نملك الآن هذه الحماية ولا تلك .

لقد حان الحين لأن نصحو إلى الواقع الذي يحومنا ، وكفى تحبطا في نظريات غريبة لا تجيد فهمها .

محمد مندور

للدولة خذى عبدا الحرية ، مبدأ سمح وورد يكاره ودمي الفرد يعمل والتجارة نمر ؟ لقد أسفرت تلك النظرة عن الحالة التي يعانيها كثير من الشعوب ، وبأيت القوى كان قويا بنفسه . واستكته قوى بالورثة : صاحب رأس المال يستغل العامل ، والمالك يستغل الفلاح ، والناشر يستغل الكاتب ، وليس هؤلاء إلا أن تعميم الدولة . لقد وضع العالم المتحضر تشايع المال ، وهذا هو التدخل ؟ واستخدم نظام الضرائب لتحقيق العدل الاجتماعي ، وهذا هو التدخل ؟ وأقام الهيئات تفصل بين صاحب العمل والعامل ، وهذا هو التدخل . والدولة بعد لم تعد حاكما مستبدا بل أداة تنفيذ لإرادة الأمة . ثم من الذي سيضمن للفرد ملوجه من المرض وقوته إذا أدركته الشيخوخة ، أو الماهة أو البطالة ، أترك ذلك للشعب ؟ عجيب هذا المنطق ، منطق يكذبه الواقع ويكذبه العقل السليم .

في النشاط الاقتصادي ، وهذا هو الفكر الذي يسيطر على فريق حججه التي تستحق النظر استعجاب الدرع عليه الحرة برون أن النعمة الشخصية هي أهم ما من النجاح في الحياة الاقتصادية ، والدولة كشمسية معنوية بتقصها هذا الحافز ، وهم يريدون أن يتركوا الفرد يضي في نفسه روح البدة والقدرة على تحمل المسؤوليات حتى يترقى تلك الحرية الاستقلالية التي أشار إليها الكاتب ، ولكن المصلحة الفردية مصلحة أثرة مدمرة ، وهناك مصلحة الأمة ومصلحة الأفراد الآخرين ، فإذا تعارضت مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة أو مصلحة الفرد مع مصلحة فرد آخر ، من يوفق بين هذه المصالح إن لم تكن الدولة ؟ انظر مثلا إلى شركات الاحتكار كشركات الماء والكهرباء ببلادنا ، ماذا يكون مصيرنا إذا لم تدخل الدولة لحماية مصالحنا نحن المستهلكين ؟ ثم من قال إن المصلحة المباشرة إذا اندمجت فتل كل مشروع اقتصادي . أو ما ترى إلى الشركات السامحة

في حضرة أبي العلاء

لنا أن القبر لم يحدث فيه أي تغيير منذ القرن الخامس للهجرة .

وكان ضروريا أن يخفر العال قبر أبي العلاء ليعيدوا بناء من جديد ، فحرقوه وكشفوا عن اللحد ، وأقبلت أريد الزول فتهيب أول الأمر ، ونحلت الشيخ الجليل فيه ، ثم تشجعت وتزلت ، فوجدت البناء مهجوما ، وليس في اللحد أثر من حجمة أو عظم أو عجب ذب . ثم أعاد العال بناء اللحد كما كان ، وأعادوا القبر حيث كان تماما . وكانت الشمس قد آذنت بالمغرب فقلنا راجعين إلى دمشق وصلناها في منتصف الليل ، فدخلت غرفة نومي وخلعت ثيابي ، وتعمدت على فراشي أحاول النوم بعد ذلك النهار المصعب الشاق ، الذي قضينا نصفه في السيارة تقطع بنا ثمانين أو تسعين كيلو متر في الساعة ، ونصع في حل الحجاز ، وصور القبور ، وما إلى ذلك . وبعثا حاول أن أحطب النوم بالمصطفى فوسنا أنا كذلك إذا رأى الشيخ الجليل مائلا أمامي ، فحبل ودعت عليه التحية ، وكان إلى جانبه طائفة من الذين عرفوا بهم منهم ، كالأستاذ الدكتور بدر الدين النصاري ، والأستاذ سليم الجندي ، والرحوم أحمد تيمور باشا ، والدكتور طه حسين بك ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والأستاذ عبد العزيز الرابحي كوفي . وكان أبا العلاء أحسن أني . لم أعرف نقيه حبه ، قال : أنا هذا الشيخ الذي إلى عيني فهو أبو طاهر السلفي تلميذ تلميذ التبريزي ، وأنا الثاني فهو مواطنك كاللذين بن المدم الحلي ، وأنا الثالث فهو أبو منصور عبد الله بن سعيد الطائي . وأنا هذا الذي إلى يساري فهو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن هاشم ناسخي وكانني وملازمي ، لم يتركني منذ أن أتويت في بيتي سنة ٤٠٠ لتأليف الإملاء ، فأملت عليه أكثر كشي ، فتولى نسخها وإيقانها أحسن الله موته ، وأرمني بذلك حقوا حجة وأبدى بيضا ، لأنه أفنى في زمته ، ولم يأخذ مما سمع منه . وأفد بعضه لالجزاء ، وبكفيه حوادث

في ليل العاشر من تشرين الثاني ذق جرس الهاتف ، فتناولت السماعة فإذا المستشرق المهندس السيو أبكوشار يتحدثني من بيروت ، ويطلب إلى أن أهني نفسي إلى السفر إلى المرة للإشراف على بنائي ضريح أبي العلاء الذي كاد أن يتم ، وقرأت الكتابات الحجرية التي عثر عليها في القبور الثلاثة التي وجدت إلى جانب قبر أبي العلاء ، فهيات نفسي وفي صباح اليوم الثاني في الساعة الرابعة توجهنا إلى المرة ، فكان الجو يارداً والمياه مطيرة . تركنا دمشق فإ وصلنا حمص حتى أشرقت الشمس وصح الجو ، فتركنا مدينة حمص إلى حماه ، ومنها إلى المرة ، فرأينا البناء قد تم ، وهو بنا محمد المهندس أبكوشار فيه إلى إحياء الفن الإسلامي القديم ، على الضريح مدرسة لها مسجدها ومكتبتها وأروقها . وإليك إذا ما دخلنا نومت أنك داخل إلى عاصمة بني عباس العصر الأيوبي ، حصن واسع ، فيه حديقته مسجده الفخيم في جنوبه إبان لطيف ، تحته يقوم القبر ، وإلى جاني القبر بابان يؤديان إلى مسجد ضخم ، في جانبه الأيمن غرفتان وفي جانبه الأيسر مكتبة ضخمة . ومن وراء المسجد حصن فيه القبور الثلاثة المكتشفة ، أحدها قبر مجهول ، وثانيها قبر امرأة ماتت سنة اثنين وأربعين وسنة ، وثالثها قبر أحمد بن إسماعيل بن سليمان التتوخ سنة ٧٦٠ ، وحول هذه القبور الثلاثة كتابات كوفية (من آية الكرسي) بارعة جدا .

أما قبر أبي العلاء نفسه فقبر ساذج ضخم ، له شاهدة واحدة كتب عليها بالسكوفي الشجر (قبر أبي العلاء ابن عبد الله بن سليمان) ، وقد أتى الزمان على كلتي (قبر وأني) ، وعلى طاهر هذه الشاهدة ما نصه : « راحة الله عليه » . وليس على القبر تاريخ ، ولكن طرز بناء القبر والكتابة يوكدان

الزمن والأدواء . فقلت : يا سيدي الشيخ أنا والله سعيد بهذه الزيارة فكيف أنت ؟ قال : على أحسن حال ، وأجود بالـ : يارك الله فيك وفي الذي بدلت . وتبدل أنت وجماعتك في بناء ضريحي ومدرستي ، ولولا أن جزاء المرء على نيته لما سمعت مني كلمة الشكر هذه ، فمن قال لك إني أسبل إلى رفع الأضرحة وإشادة المائر على قبور الأموات ؟ فتقدم الدكتور ظه حسين وقال : إنهم يا سيدي يقومون ببعض حقك ، ولكم كتبنا يوم إخواننا الشاميين على تصغيرهم في القيام بهذا الواجب ، ولهم منا الآن أفضل الشكر على أن أمروا ما شرعوا ، وأنا أرجو أن يكون يوم الذكرى الألفية يوماً نغماً يليق بتقام الشيخ ويحمد ذكراه الطيبة . فقال الشيخ : جزاك خير أربك بأمله ! فانت تأبى إلا الكمال من كل تواحيك ، وما أنسى فمن أنسى أنك أول من أحيا ذكرى في هذا القرن المشرق ، فكيف عني ما كتبت ، ودعيت حبك الشدة إلى الخلال ، وفتحت في ذلك من بعض معاصريك نقداً وعنا . ولكيف كنت تسير قديماً ، ولا تحفل بما قالوا : ¹¹¹¹ فذلك إنهم يشكركم في لآلئك أحييت ذكرى ، فأنا أرفع الناس فيه ، بل لآلئك كشفت لأبناء عصرك القطاء عن بعض آرائي في الحياة ، فعملهم يستبدون بهديها . ثم التفت إلى الأستاذ سليم الحندي فقال : وأنت يا سليم لقد قضيت شطراً كبيراً من عمرك في الكتابة عني ، بولي عندك طلب أرجو أن توفى إليه ؛ ذلك أني أفرح الناس بتخصيص جناح من مدرستي ليكون مكتبة يفيد منها أبناء المرة وزوارها ، فاسع بأن المرة في تنمية هذه المكتبة فهي أفضل شيء في هذا الشروع . فقال الحندي : سمعاً للشيخ وتلبية . وهنا كان الشيخ يتحدث والإستاذ الحندي والدكتور ظه كثر أفكر في سؤال الشيخ عما كتب هؤلاء الأساتذة فيه ، وعن رأيه في كل ما كتبوا . فلما أتم حديثه قلت : أريد أن أسأل الشيخ الجليل أسئلة فاعلم بحبي عنها ، فقال : هات . قلت :

ما رأيتك فيما كتب هؤلاء السادة المبعوثون بك . فقال : سؤال عرج . وليتك سألتني عنه وهم غائبون ، فأنا والله شاكر لهم ما بذلوه . على أن في كل كتاب حقوة أو حقول ، وما كتبت أحب أن أقد كتيبهم في محضرم ، ولكني رجل كنت قولاً للحق صداقاً به ، وسأكون ذلك الرجل . أما أستاذك وصديق النعساني فهو من الناس القليلين الذين فهموا شعري ، واعتنقوا مذهبي ، وهو على قلة ما كتب مني من أفضل رجال هذا القرن فهموا شعري وأدبي ، ولعله هو الوحيد من بين الذين كتبوا عني وآمنوا بما كتبوا ، واعتقدوه دستوراً لهم في الحياة ، فإن آراءه في الدين والحياة والراءه آرائي . وسكت الشيخ ، فقال بدر الدين الحمد لله الذي حقق ظني ، فقد كنت أتهم أني أخطأت فهم بعض أوهامك ، ولا أضعفك أي يوم كنت ألقظ أفساسي الأخير . سألتني أن يجمعي بك فور انتقالني إلى الدار الآخرة ، وهذا ما كان ، فبارك الله وأطعمت شريرة سروراً لا يريد حبه . وأما حديثي بكلماتك هذه . فقلت : وأنا يا سيدي بدر الدين ، سألقظ للناس من أسدقائق وأعدائك كلمات الشيخ فيك وفي أدبك . فقال : لا لا بأس به ، لا فعل ذلك فإن هؤلاء الناس لا يساوون عندي جناح بعوضة ، وما كنت أحفل بهم في حياتي . وأنا الآن أكثر عزوفاً عنهم ، وعن تقديرهم وإحبابهم . ثم أخذ الحديث شيخ المرة فقال : أما الحندي سليم ، فقد دافع عن إغائي ، وأطرد وأبدأ وكتب على كتابه الضخم الذي قضى فيه رهرة عمره ، وقد اطلعت على كل ما كتب فأنا له شاكر ، ولكم كنت أود ألا يقضي فترة طويلة في الدافع عن عقيدتي وإغائي ، وليرك الطاعنين في يطعنون ويقولون ما يشاءون ، فليس لفلهم وزن ولا لحرائهم قيمة ، وليته وهو اللغوي اللين انصرف إلى شرح الترمذيات ثم ما يكشف عن غوامضها لدى طلاب علم هذا الجيل . فقال الحندي : أنا باطل وسعي في

«كلاهما أناني لا يحدفوا حرفاً مما كتبت في خلافتي الناس ،
أو أحذفوه كله ، فها هو بصائرنا أن نجهلوه ، وهو منا في
الصديق ، وإنه لائق بالنعوس وإن زال من الطروس (رجعة
أبي العلاء ص ٢٠) ، وفي كتابه ما عفاه كثير من الأبرار
التي رافقتي ، كأنني فيه أراءت أهدى من أن نفسها إلى أن
وإن أصبح ما سمعته إلى قولك : «أما انظر فلا أستبعد أن
الشيخ قد ذاقها في بعض الأبرار التي قد كان يشاها
لقد درس ومراجعة المذهب ، فإن أوصافه لها أوصاف من
لا يقتصر في العلم بها على السماع ، بل لا أستبعد أنه كان
يدققها من حين إلى حين في بعض أيام العزلة كما يتم
عليه قوله :

فلا تشربها ما عييت وإن فعل

إلى التي خاطبها بقية حرمه »
وعند سبيلهم ، جلس في قولي هذا ما يؤيدك ، وليس
في قولي ما يؤيد لك إلى أن تقول ما تقول ، وقد
وجدت في كتابي ما لم أجد ، ولست في كتابي ما لم أجد
« لا إله إلا الله » فقال الله عليك . مع المقادير هذه
الكتاب ولكنه لم يفسد بيت شقة ، وإنما اكتفى بأنه
عزى إلى الشيخ حارة . ثم نادى الشيخ الأستاذ الزبكوف
فقال : يا عبد الله ! قد كان كتابك حاربا لكثير من الدائل
الحققة ولا أعجب عليك إلا حارة في نقد صدقتنا صاحب
ذكرى أبي العلاء . قد كنت أحب أن تكون كتابك في
نقد أرسن وأحكم . وأحب أن أتم الحديث عن كتابك
بإيجاز بالفصل المطيب الذي عنوانه « عليك أهلكه »
وأراه في مغزله « على أن فيها أشياء موضع بحث ومناقشة »
ولما أتم الشيخ الجليل حديثه الطلي اعتصمت إليه
فقال : لا عليك يا مني ! نحن إنما نشأ في سبيل العلم ،
ومنا في سبيله

ثانية طلب الشيخ أعزاه الله ، ثم التفت الشيخ إلى نيمور
باشا فقال : وهذا رجل كان يستطيع أن يعمل كثيرا ،
ولكن الأجل عجله ! وكتابه الذي كتب على ما فيه
من معلومات كثيرة ، قليل القريب ، سي التفت
أخذ عنه أشياء ليس لها كبير فناء ، وهو كثره الجندی
أطال القول في دين ، وما كان أفتاها من ذلك . ثم التفت
إلى نيمور باشا فقال : نحن في عالم لا راي فيه ولا عار
فقال نيمور باشا : أعوذ بالله من أن أشك في صواب نظر
الشيخ وحسن رايه ، وله أعزاه الله جل ، الحرية في أن يقول
ما يشاء ويحكم بما يريد . ثم التفت الشيخ إلى حله بك
قال : أما ما كتب له في كتابه ، فإنا راض عنه كل
الرضا ، وسأكر له كل الشكر ، ونقوم به كل الفخر ،
مهم الذي صرح أوهام المستشرقين ، ولقد صدقناهم في
أوهامهم في . وهو الذي أخرج الناس بفناء بهجته أفتا
هذا المصر كل فلسفي وآراني ، وإن كنت أخذت به
هذا شيئا فأنا أخذت بعض مبالغاته وهو من كل شيء
أفصده ، ولكنه في ذلك مجتهد بارع ، فإني أفتي
وإن أنسى مدحها ، وله في الكتاب الذي أفتته مع
أبي العلاء في سجنه ! وإن غرت لك كل غيرة فلها
فيه ، فلا أفتك قولك : « قد سرف على أنفسنا وعلى الفن
الأدبي إن قلنا أن شعر اللزوميات جيد كله من هذه
الناحية الفنية الخاصة » بل سرف على أنفسنا وعلى الفن
الأدبي إن قلنا أن كثرة هذا الشعر جيد ، وإنا الحق أن
الحيد من شعر اللزوميات قليل يمكن أن يستخلص في
محل صيف يجمع إلى الجمال أفي خلاصة القصيدة الغنائية
كلها ، وهناك كانت أخرى لك في كتابك هذا لا أحب
أن أشكك الخياط عليها ، وأرجو أن يسبح في الوقت ذلك
في مرة أخرى

وأما الأستاذ المقاد فقد رافق أسلوب كتابه ، وأعجبني
طريقة معالجته ، وإني معجب كل الإعجاب بقوله على لسانه :

نعلن على :

«إصلاح التعليم في مصر»

كان لهذا التقرير الذي أصدره حضرة صاحب المثل وزير المعارف فرحة في قلوب الآباء والأمهات ، إذ وجدوا فيه وعدا صريحا بأن دور المعلم سيتفتح أبوابها بالجلان للأطفال والمعلمين وكثير من البائسين ، حيث أهدوا غذاء العقل ، وغذاء الجسم .

وكان له أيضا صداه بين الأفراد والجماعات من المصريين وغير المصريين ، فتناولوه بالدرس والتقد . ومنها اختلفت فيه الآراء ، فإنها تكاد تنفق على أنه « دستور تعليمي ثوري شامل » .

وقد يكون من المبالغة والمبالغة بما ألا يترخص به مبرهن مني للتعلق على إنتاج رئيسه ، والى ذلك فقد استأذن من الوزير لا بأنني انتقد الخلل ، وأنه ليس « الدستور » موضوعا للدرس والبحث ، ولتين على أنه « الدستور » جليا . يشجعني على أن أسام في التعليق على هذا المشروع الإصلاحي .

وأول ما يلفت نظر القارئ ، هو أن معاني الوزير قد استغل بوضع هذا التقرير معتمدا على ما قرأ من مناهج الكتب والتقارير ، ومن بينها تقارير وصفا للدورين المأمون والراقبون في الوزارة . وقد جرت العادة في البلاد التي سبقتنا في الإصلاح أن يوكل وضع مثل هذا التقرير إلى طائفة استشارية فنية ، ألتزم وأبهر المشكلات وتقدم مقترحاتها إلى الوزير الذي يقرها مبدئيا ثم يمررها على البرلمان للمناقشة وإبداء الرأي . ولعل معاني وزيرنا لم يلجأ إلى هذه الطريقة التقليدية توغيرا للوقت ، ورغبة في الإسراع بإخراج المشروع ولادة الفكرة ناقشته في البرلمان وخارجيه . وقد أراد بهذا أن يكون عمق اللجان

التقيد التكميلي ، وأن تقوم بوضع الخططة التفصيلية التنفيذية سياسة المشروع العامة .

التعليم «دور» والتعليم «توسيع» : عقد التقرير فصلا

طويلا عن التعليم الإلزامي ، وذكر السبب في إخلال نظامه ، وأن عليه يرجع إلى قصر المدة المخصصة له ، وهي ستان ونصف على الحقيقة . ثم جاء بالإصلاح الفشود فجعل مدته سبع سنوات تبدأ في عام السنة السادسة ، وذلك على نظام اليوم للكمال . ويقترح التقرير أن يوجه هذا التعليم لأوجهة عملية ثلاثم حاجة البيئة التي نشأ فيها التلميذ ، زراعية أو صناعية أو تجارية أو ملاحية . . وفي الوقت نفسه يشق الناشئ تنفيذا عاما كافيا ليعينه على فهم الحياة العامة في بلاده . وهذا مثل عام للنظام الذي يجب أن يكون عليه التعليم الإلزامي في مصر . ولكن

الذي يجب أن يلاحظه هو أن التعليم الإلزامي (الابتدائي) ، وهو تعليم (التي هي) المطلوبة المتأخرة من حياة التلميذ ، ويعتاز من (التي هي) إعداد المدارس الثانوية . ولهذا الموضوع للدرس والبحث ، ولتين على أنه « الدستور » جليا . يشجعني على أن أسام في التعليق على هذا المشروع الإصلاحي .

وأول ما يلفت نظر القارئ ، هو أن معاني الوزير قد استغل بوضع هذا التقرير معتمدا على ما قرأ من مناهج الكتب والتقارير ، ومن بينها تقارير وصفا للدورين المأمون والراقبون في الوزارة . وقد جرت العادة في البلاد التي سبقتنا في الإصلاح أن يوكل وضع مثل هذا التقرير إلى طائفة استشارية فنية ، ألتزم وأبهر المشكلات وتقدم مقترحاتها إلى الوزير الذي يقرها مبدئيا ثم يمررها على البرلمان للمناقشة وإبداء الرأي . ولعل معاني وزيرنا لم يلجأ إلى هذه الطريقة التقليدية توغيرا للوقت ، ورغبة في الإسراع بإخراج المشروع ولادة الفكرة ناقشته في البرلمان وخارجيه . وقد أراد بهذا أن يكون عمق اللجان

ولم يترص التقرير فاصلة بين التعليم الأولي (الإلزامي) والتعليم الابتدائي ، وما إذا كان التعليم الابتدائي بصورته الحالية سيؤدي ليحل محل التعليم الأولي الشعبي ، أي « أو حدة » مرحلة التعليم الأولي لجميع أبناء الشعب تحقيقا لمبدأ الديمقراطية ، أو أن النوعين من التعليم الأولي والابتدائي سيتطلان قائمين جنباً لجنب . ولعل لم أحصل حين فهمت من التقرير أن كلا النوعين سيتطل قائما . فإذا سمح فحصى هذا واجهتنا أسئلة تحتاج إلى تفكير في جوابها ، منها .

١ - ما أسباب استبقاء النظامين الأولي والابتدائي

الحض ، ومن بينها ما يشجع الاتجاه الدنى كالتدريس ، وقد زاد الانفصال في السنوات الأخيرة على قسم التخصص لإجازة التدريس ، فالتحق به من أنما تعلمهم في كلية اللغة العربية ، وعدد كبير ممن تخرجوا في كليات الشريعة وأصول الدين ، وهؤلاء يطلبون التوظيف في المدارس الدينية التي تشرف عليها وزارة المعارف أو تدبرها ، وهؤلاء لا يجدون السبيل المهد للوظائف عادة مكميهم من أبناء الدولة ممن يرتسم وأشرفت على إعدادهم وزارة المعارف ، وهذا إصاف وعدل ، ولكن هناك شيئاً غير طبيعي في تنوع الإعداد وتنوع الإشراف ، على حين أن المدارس التي يُراد إمدادها تنوع واحد ، وهذه مشكلة طال تاريخها .

وكمثل أود خلاصاً أن يمرض لها هذا التقرير الذي سيكون : إن الله - دستور التعليم في مصر ، واحتجاً حارماً صريحاً بصناعة الله والوطن .

تعليم الكبار والتعليم الأميين : وقد التقى فصلان فيما يتعلق بالتعليم ، وهو التعليم بالإنجليزية Adult education برأيه من الشعب لا معنى متفاداة التزايد المدرسي - الأولية مثلاً - ولكن شاع له القرض المنقولة للدرس والتدريب والتدريب ، حتى يشع أفعه ، وتزداد معارفه ، وأشار التقرير إلى أن في وزارة الشؤون الاجتماعية اتجاهات لتحقيق هذا القرض ، وأن وزارة المعارف ترتب بهذا الاتجاه ، وهي مستعدة لتقديم « كل ممونة فنية في تنظيم هذا التعليم ووضع خطته وبرامجه » ، وملاحظة تنفيذ هذه الخطط والبرامج . وهذه مآثرة أخرى من مآثر هذا المشروع ، لأن التعليم الناقص قد يكون أخطر على البيئة الاجتماعية والفرد من الجهل .

وهنا يجدر لي أن أشير إلى أن في مصر نسبة غير صغيرة من الأميين الكبار ، وهؤلاء - وإن كانوا سيتقربون عبر السنين - يتوقفون إلى التعليم ، حتى ولو اقتصر تعلمهم على القراءة والكتابة ، على أن في تعلم

ما دمنا قد جعلنا التعليم ديمقراطياً تساوى فيه القرض ، حتى تظهر التواهب الكامنة في أبناء الشعب جميعهم ؟

٢ - أليس من الأصح توحيد المرحلة الأولى من التعليم ، وإنشاء التعليم الابتدائي بصورة الحالية ، وإدماجه في التعليم الأول ، التعليم العام للشعب ١٩ إن هذا النظام المزيج من التعليم غير معروف في الدول المتقدمة ، على أنه كان من نتائج تقرير هاندر أن ألقى استعمال عبارة « التعليم الأولي » وأدخل عليها عبارة « التعليم الابتدائي » ، وعلى أية حال فالمشكلة ليست مشكلة الفاقد وإنما هي مشكلة توحيد من التعليم لا ضرورة لبقائها معاً .

٣ - أمن الضروري تعليم لغة أجنبية قبل البدء في مرحلة التعليم الثانوي ؟

تجوز لي عن هذا السؤال والفتي ، وهو جواب أثبتته التجارب الكثيرة ، وعرض له بتفصيل الدكتور وست وهو رجل أمضى حياته في تجارب تعليم اللغة الأجنبية بالهند ، واحتج كنيته لخل الأول حيث حل هذه اللغة خارج إنجلترا ، فهو يقول : « ويمكن أن يستخلص من *English in India* موضوع كتابنا هذا ^(١) أنه يجب أن يجيد التلميذ قراءة لغته الوطنية قبل البدء في تعليمه اللغة الأجنبية ، وليس هذا البدء قاصراً على الهند بل يطبق على غيرها أيضاً » .

المؤتمر المشروع : هذه نقطة شائكة لأنها ستخرج سباً من اختصاص وزارة المعارف إلى اختصاص آخر ، ولكن أومن بأنها من المطاوعة والصلة بمشروع التعليم الذي ندرسه ، بحيث لا يصبح أن أغفلها في مقال هذا فالأمر جامعة دينية تعليمية ؟ لها معاهدتها الخاصة ، الابتدائية والثانوية ، ولها كلياتها ، ولها أقسام للتخصص . ومن ثم أبناء الشعب - لا بناءه - لوظائف عامة في القضاء الشرعي ، والمحاماة ، والوظائف ، والإمامة ، والتدريس وغيره . ومن بين هذه الوظائف ما يحتفظ بطابعة الدين

السكابر من آباء وأمهات إعدادا للجو الزلى الصالح
الذى يجد فيه التعلم الصغير من والده إرشادا وتشجيعا
وتهديرا للتعلم .

هل نسمع مواردنا بتفصيل المشروع ؟

نشرت الثقافة في عددها ٢٥٩ مقالا تحت عنوان
« منطق الأرقام » قدر فيه كاتبه أن تنفيذ ما جاء في تقرير
التعليم من إصلاح ، وما تحتاج إليه البلاد في الشؤون
الصحية يحتاج نحواً من ٦٥ مليوناً من الجنيهات سنوياً ،
أى ما يبادل ميزانيتها الحالية .

وسواء أصبح هذا التقدير أم لا ، فهناك حقيقة ثابتة وهى
أن مواردنا كما هى الآن لا تسمح بتنفيذ ما جاء في التقرير
من إصلاح منشود . ولم يتعرض التقرير للأسئلة العملية
التي يدبر بها سائر التعاميل . غير أنه ذكر أنه « قد أجمعت
هيئات التعلم ورجال العربية واللغة في الدولة على كسب
بشؤون العربية في أمريكا ، وبعد التماس في عهد الحرب ، على
أن العالم بجميع ما فيه من موارد مستغفلة عن الاستغلال
هذه الموارد والانتفاع بها ، وما يقتضيه ذلك من
التعليم التي تمكن من هذا كله ، لا يبنى أن تستأجر بها
أمة دون أمة ، أو أن تستبد بها طبقة دون طبقة ، وإعلاء
هو حق الجميع ، ولكل فرد في كل أمة أن يطلب حظه
منه ، كما أن لكل أمة في الأرض أن تطلب حظاً أمثلها
منه . واعتماداً على هذا الرأي قرروا ضرورة التزام الأمم
جميعاً بميثاق دول أن تتعاون على تمكين جميع الطبقات
من التعليم على مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص » حتى لو أن
أمة من الأمم الشريكة في هذا الميثاق لم تجد من مواردها
الطبيعية الخاصة أو من طاقتها المالية ما يفيها على تحقيق
هذا المبدأ ، كان فرضاً على هذه الدول القليلة بمواردها أن
تقدم لها المعونة الكافية لتحقيقه . ويشترط لذلك طلبها
أن تبذل الأمة ، التي تطلب المعونة ، أقصى جهدها وما
تبلغه طاقتها لتحقيق هذا المبدأ بمواردها الخاصة . فذلك

واجبها الأول قبل أن يكون واجب الدول الأخرى .
وهذا النص واضح في أنه إذا ما عجزت موارد مصر
من تنفيذ سياساتها التعليمية فإن هناك مالا احتياطياً تلجأ
إليه عند البطل الفنية . ولكن أى ضمان يكفل لنا تحقيق
هذه الآمال التي خلقها الحارب ، والتي لم تخرج عن حيز
البحث والتفكير ؟ هذا إلى أن واجبنا يقضى بأن نبذل
نحن مجهودنا المالي ضمن مواردها الخاصة لتحقيق مثل
هذا المشروع .

ولقد أوجه معالي وزير المعارف اتجاهها عملياً في البدء
بتدبير المال اللازم للتعليم . وكان من مظاهر هذا الاتجاه
ما حدث في مأودة معالي وزير المالية لرجال المال بعد تنظية
القرض الوطني . فقد اقترح دولة صدقي باشا على معالي
وزير المالية أن يعقد قرضاً لتحسين حال الفلاح وتنفيذ
الشروعات (١) التي تحتاج إليها البلاد بعد الحرب ، « وهذا
قال معالي نقيب المحللين باشا إنه يرجو أن تخصص أموال
القرض الوطني الذي يقرحه دولة صدقي باشا لوزراء المعارف
وتنفيذهم في التعليم » ، وإذا نجح هذا الاقتراح وأمكن عقد
مثل هذا القرض فإن لنا أيضاً أن نساعد ، أمن الصلحة
عقد قرض لا ينفاقه في إصلاح التعليم وأوجه أخرى ضرورية
أم تنفيذ مشروعات الإصلاحية بميزانيتها المحدودة ؟

إن التعليم تجارة رابحة . وليس عقد القروض لقيام
بالمشروعات الإصلاحية أمراً جديداً في تاريخ الأمم . فكل
الدول — ومن بينها مصر — تعقد قروضاً لتنفيذ
المشروعات العامة التي تعجز ميزانيتها عن تنفيذها . وقد ثبت
بالتجارب والتاريخ أن التعليم يزيد قوة الإنتاج ، وبه يمكن فتح
أبواب لوارد من الثروة قد أهملها الجهل ؛ وما أكرر هذه
الوارد في مصر . وقد يكون من المناسب أن أشير هنا إلى
أنه من الضروري أن تقوم بجانب الدواوين والمعاهد الفنية
مؤسسات صناعية وزراعية حكومية وحرية ، يمكن أن

(١) الأهرام في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣

إلى أن أعضاء البرلمان الإنجليزى لما عرضت عليهم الإصلاحات التعليمية الأخيرة « قالوا : إن البرلمان لا يمكن أن يتقيد منذ الآن عما سيكون في المستقبل ، ولكنه يوافق مبدئياً على المضي في الإعداد ، والإصلاح على أساس السياسة العامة المقررة - وكلما تمت مرحلة من مراحل الإعداد وأصبحت ممكنة التنفيذ طلب من البرلمان إقرار الاعتمادات اللازمة لها . ولكن ذلك لا يمنع إعداد التشريعات وإقرارها منذ البدء » .

والتقرير الذى أصدره معالى الوزير هو من نوع هذه الإصلاحات . فهو مشروع لسياسة التعليم عامة يرمز على لسان الأمة وشيوخها بالبحر ثم قرصة لم تنجح من قبل « بحث حالة التعليم عامة . فلا يقتصر البحث فيها على نوع دون نوع ، ولا على دون غير . وبذلك أيضا نستطيع مصر أن رسم للتعليم نهجاً عاماً على مذهب أغراضه وأهدافه البعيدة وأغراضه العامة » .

عبد العزيز عبد المجيد

ARCHIVE
beta.Sakhrit.com

تعمل فيها الجماعات المدرسية التى تخرجت في هذه المدارس والمناهج الفنية ؛ وهذا يكون تطوراً اقتصادياً ممشياً مع تطورنا التعليمى . غير أنه يجب ألاستوقع زيادة الإنتاج الدائم في الدولة بحيث يكفى نفقات التعليم السنوية ، قبل مضي جيل أو جيلين .

هذا إذا لجأنا إلى عقد القروض . فإذا لم يكن هذا ممكناً ، فهناك اقتراحات قد يباين تحقيقها على تنفيذ هذا المشروع التعليمى ، ولو تنفيذاً بطيئاً ، نذكر منها :

١ - أن تهج وزارة المعارف تهج وزارة الصحة قبول تبرع الأفراد والجماعات بالأرض والمال لإنشاء مجموعات صحية ، وتشجع وزارة المعارف الجمهور وتقبل منه مثل هذه التبرعات لإنشاء المدارس القريبة والتأهوية الفنية .

٢ - أن وزارة المعارف في الممالك القريبة لا تصرف للتلاميذ الكتب المقررة والأدوات المدرسية التى تستعملها وزارة المعارف هنا ، فإذا أعني الآباء من المصاريف المدرسية فلا أقل من أن يشتروا لأولادهم ما يحتاجون إليه من كتب وأدوات مدرسية ؛ وهذا الكلام يوفى على الزيادة قدر ما من المال لا بأس به .

٣ - أن توجه المدارس الفنية توجيهاً تجارياً إلى جانب مهمتها التعليمية ؛ فتباع منتجاتها الزراعية والتجارية لحساب وزارة المعارف . ولا شك أن أثمان هذه المنتجات سيعطى جزءاً كبيراً من نفقات هذه المدارس .

٤ - أن تبدأ وزارة المعارف بتنفيذ هذا المشروع تنفيذاً جزئياً تجارياً - كتجارة - في منطقة من مناطق القطر . ولهذه التجربة تبعيتها الزدوجة ، وهى : أولاً أنها تعطينا فكرة صحيحة صادقة عن مقدار ما يحتاج إلى المشروع من مال عند تميمه ؛ وثانياً نعلم من الأخطاء التى قد تقع فيها أثناء التجربة . وقد تكون التجربة أسلم طريقة لتنفيذ هذا المشروع الضخم .

وليس في التقرير ما يحتمل التعجيل بالتنفيذ ، فإنه بشرى (١)

(١) صفحة ٦٧ من التقرير الذى سبق عليه .

صاحب امتياز الحلة
رئيس خة المؤلف والفرقة والنشر

أمر أمين مكتبة

رئيس التحرير الدكتور

محمد عبد الواحد معروف

٤٥٥ في مصر والسودان

٣٧/٥ لفتة ومبنى الإلام

٦٠ في الممالك الخارجة من اتحاد البرد

٧٥ في الممالك الخارجة من اتحاد البرد

١٥٥ من مصر

الاشتراك
لشهر

أدب الأسبوع ...

« هذا رأيي وعلى تبعته وحدي ... »

اقرأ ... - الحصان والجوكي ١ - وعبرانيا
الأوب ١ - القطار - خطبة ١

اقرأ ...

أنت سلسلة « اقرأ » التي تصدرها مكتبة المعارف ، سنة من عمرها البدد إن شاء الله ، أصدرت فيها التي عشر كتاباً لاثني عشر كاتباً من حيرة كتابنا وأذتبعهم شهيرة وأدامهم إلى قلوب القراء وأنسدهم أرواً في قلوبهم وعقولهم ؛ وإنه لحق علينا في هذه المناسبة أن نحسى هذه « المجلة » الناشئة ورجو لها اطراد التقدم على النهج الذي أودعته ورسمه لها القاعون عليها من أهل الفن والأدب الرفيع ، فهي على أي الأحوال تروية أدبية مريحة ، مادام الغرض الأول من نشرها تحبيب الكتاب إلى قارئه ، واحتذاب طائفة من أهل الفراغ والبطالة إلى أن يشغلوا أوقاتهم بالقراءة التي تزاوج بين التمتعة والسلية ومحاولة الإحاطة بالفراغ في تقريب طائفة من حقائق العلم والفن الخاصة إلى طائفة من القراء ليس لهم فيها تخصص مهيم على الرجوع إليها في مصادرها الأولى من مراجع البحث ومطويات العلوم والفنون . وإذا كان هذا هو الغرض الأول من نشر هذه السلسلة ، فليس من حقي - في هذه المناسبة - أن أعرض لتفصيل الرأي فيما أخرجته لقرائها في ذلك العام النصرم ، فإن أول ما تشكروا منه في هذا البلد هو انصراف التلاميذ عن القراءة النافعة ، فأشياء كاتب أو ناشر عمل محملاً لاجتناب هذه اللمة فهو مشكور على ما حمل في جسده ، لا سبيل لتأنيده عليه إلا فيما يقول من قول أو يرى من رأي أو يدعو من دعوة تناول الأمة في دينها أو في كرامتها الوطنية أو في أخلاقها العامة .

الحصان والجوكي ١

ودعت سلسلة « اقرأ » جمهور قرائها - وكُتبتها -

إلى استفتاء عام - الخامسة دخولها في سبئها الثانية - وسبقت بينهم جائزة ؛ أما الاستفتاء فهو : أي الكتب التي أصدرتها في السنة الماضية - ما عدا الكتب الثلاثة الأولى وهي من وضع أعضاء اللجنة - ينال رضا الأكثرية من القراء ؟ وأما الجائزة فهي ٧٠ جنياً مؤلف الكتاب الفائز ، و ٣٠ للقارئ الذي يفوز بالافتتاح من بين القراء الذين اختاروا ذلك الكتاب ! ...

... وتعبت حين قرأت هذا الاستفتاء الطريف لو كنت - في السنة الماضية - كاتباً من كتبات هذه السلسلة ، إذن لكان لي اليوم مطمع في أن أربح سبعين جنياً ، وإنها لآمال !

قال لي صاحبي : إن لم تكن كاتباً يفوز والسبعين فأليك التسلية أن تكون القارئ الذي يطالع في الثلاثين ، ولعل لك أن ترى وتحكم فلا تعدو الحق في تحكم ! ... قلت : هيات ! ليس من ذلك عجب وما أغنى ، وإنما أجب عن جواب السامع والجواب الإجمالي في هذا الاستفتاء فقلت : قواف قد فرغ مما كان عليه من واجب ، فقد كتبت ما أكتب ثم طبع وزاع منذ أشهر ، فإنه لحالني إلى مكتبة في داره لا يفكر في شيء مما كان حين يدق عليه ساعي البريد بأنه في حقته ليدفع إليه سبعين جنياً هي جائزة قرائه ...

وهؤلاء آلاف من القراء يصطرون على الرأي في الكتاب الأول ، وإن اسكل منهم مطمعا في الثلاثين قد يحمله على أن يكون له تسعة آراء لأرائي واحد ، فبري كل كتاب من التسعة خير كتاب ، ليعلم أن يكون اسمه في كل افتتاح ؛ ثم تكون نتيجة ذلك كله أن يحصل على الثلاثين قارئ واحد من بين هذه الآلاف ... أو أشبه في هذه المباراة قد سبقوا بين المؤلفين أو بين القراء ؟

وفحك صاحبي وقال : رأيت « الجوكي » على فرسه في حلبة السباق قد كوى مرة الحصان على كفه وإن البوت ليرتص به في كل فترة وفي كل حفرة وعلى كل

على الطليقة الممتازة من أهل الشكر والبيان لتوحى بهم وتعلم ورفع الشب فوق قدره وتسمو بوجوده ونفسه ؟ فإخصافه لحكم العامة وأشياء العامة من القراء بأمثال هذه البازيات ، « تزول » به عن موضعه وتزول بأمله عن مكانتهم . بل لعل أرفع الأدب مكاناً وأعلاء موضعا هو أمدده عن رضا العامة ؟ فلو قد حملنا حكم القراء هو الزيان وهو الحكم لكان ذلك حرجاً بأن يعمل طائفة من أصحاب الأقدام على اتساع أسباب النجاح بما يردونون إلى العامة من فنون القول التي تطرب لها نفوسهم ويحبون لها رَوْحاً في أفئدتهم ونشاطاً في أبدانهم وقوة في دهم ، وتقود الجماهير الأدباء وكان حتى الأدباء أن تكون لهم القيادة ...

... وعاد صاحبي بعد فترة ، فسألته وسبقتُ إلى ... وعادت إليّ بإيمانه عريضةً مبسطة وهو يقول : ما أزعج ما انتقلت يا سدي من رأى إلى رأى ؛ لم أسألك ... السبيل وإلى أعرف جوابه ولا أشك أنك تعرفه ... وأنت الذي أردت أن أسأل : أليكون ذلك لوماً من الأدباء الجاهل الذي تستطيع أساليبها في كل ما نعالج من دون الحياة ؟ ونحن نريد الأدب ونعراقها بخضع للرأي العام وبشكل كيفه ووافق هواه ؟ ...

قلت : وى ! أهذه الديمقراطية الأدب فيما نحسب ؟ ألا إن أساس الديمقراطية هو أن نحاول أبداً أن نرفع الشب لأن نزل به ؟ فليس الأدب الديمقراطية هو ما نرته ميزان العامة ، ولكنه هو ما ينشئه الأدب ليسو برامة الشب إلى حقيقة الإنسانية العالية ورتفع بهم إلى أعلى حد من السكال الممكن .

الختار :

وأصدرت سلسلة « المختار » من مجلة « بدر » وابجست أربعة أجزاء ، منذ أصدرت « طليعتها العربية » ، وأنه لغرض علينا وقد تحدثنا عن سلسلة « اقرأ » أن نتحدث عن « المختار » ، لا نتحدث عما يتناوله من موضوعات العلم

منحدر وثنية ، وإن أنقاسه السهولة لتتكاثف عرقاً على جبينه وتنتهب دماً في خديه ، وما يزال الحصان يمد به حتى يبلغ غايته فيزول عنه ... أرايت هذا « الجوكي » مرة في حلبة السباق على ما وصفت لك من حاله ؟ كم ضلله من ربح هذا السباق وكم ينال النظرة وكانوا على كراسيهم مادنين يرقبون بعيونهم ولا يكادون يتحركون ؟ ...

قلت : فأت ترى القارئ في هذا الاستثناء هو « الجوكي » : عليه أن يبدل الجهد ولغيره المأثرة ؟

قال : لا ، ليس الفرس والجوكي إلا المؤلف وقاربه ، وإعنا الربح للآخرين ، ليس للنظرة وإعنا هو ثبابة التذاكر على باب السباق 11

قلت : لم أفهم بعد !

قال : هو ذاك ، ولو قد فهمت لكانت عليك سؤالاً آخر

وبمفرطية المؤلف !

... وسألت نفسي وقد مضى عيني لوقت طويل في حيرة : ما تنفع هذا الاستثناء المؤلف وللأدباء العام ؟ ... وما تنفع السباق لفرس ، ولجوكي ، وللآخرين والأخبارات ؟ ..

أما الماشتر فإنه ليدري ، إنه يعرف كم طمّيع من كل كتاب وكم باع ، وإن له « عداًه » الذي يعرف به على التعديد أو على التقريب أي الكتب التي أصدرها قد نال رضا أكثرية من القراء ؟

وأما المؤلف والقارئ فقلت : أدرى ماذا يعنيهما من جواب هذا الاستثناء إن كان الذي يعنيهما غير الربح والمأثرة ! ...

... إلى لأحتي أن تنهي من أمثال هذه البازيات في الأدب - إن كان التصود منها شيئاً غير الإلزام - إلى نتيجة لا يرفع معها قدره ، فلم يكن ميزان الأدب في جيل من الناس هو حكم الرأي العام ؟ فإنما حقيقة الأدب الرفيع أن يكون إلهاماً وروحاً خالصاً تنزل به الحكمة

من جوع ! ويؤلف المؤلف العظيم - كما يُدعى الديك الرومي - فلا يقرؤه إلا قارئ واحد ليخلصه في بضعة صفحات من جلة يقرؤها مئات الآلاف واقفين أو ماشين أو راكبين ، كما يوزع يباع الشطائر لحم الديك الرومي في بضعة أيام على الآلاف من الراكبين يقول كل واحد منهم : لقد أكلت الديك الرومي ، وما أكل إلا شطيرة ! ويعود الكتاب ذكري ، ويصبح الأدب مسلاة ، ويصير الأدباء أخصاء عند باعة الشطائر !

خطبة ١

قرأت في جريدة الأهرام :

« في حفل بهيج تحت خطبة فلان بكية العلوم زميلته الآسنة الهذبة فلانة كريمة فلان بك ... »

وهو إعلان مأجور - كما هو واضح - دُفع عنه ناشرة ، أو ناشرة ، الأجرة المقررة وكُتب كأراد أن يكتب لم يزد فيه أحد حرفا غير ما أراد أن ينشر ؛ ولكن أي شيء في هذا ؟ ...

... فأن طالب بكية العلوم خطب « زميلته » ... وألقى شيئا في هذا أيضا ؟

... لا شيء ، فإنه لم يسر ويهيج حقا أن يكون هذا مصير الزملاء وزميلاتهم في كل كلية من كليات الجامعة ، وإنه ليقطع السنة ما تزال تداوم ... ، ولكن الذي أسأل عنه : أي الاثنين نشر هذا الإعلان ؟ وأيهما خطب « زميلة » ؟ ولستم تفسر هذا الإعلان ، ألها وحدهما ؟ أم لسائر الزملاء والزميلات ؟ أم للأهل والأقارب وفلان بك والدان خطبة زميلة ؟ وحاولت أن أعرف الجواب فما بلغت ، ولكني إلى ذلك مسرور ، مسرور جدا ، وكان أتم لسروري لو أن هذا الإعلان البهيج كان على الصورة الآتية :

« يعلن فلان الطالب بكية العلوم إلى زملائه وزميلاته بالسككية ، أن زميلته فلانة قد سارت منذ اليوم خطيبته ، فلا يتفقهما أحد منفردا أو مجتمعين في ظلال الشجر ، ولا يحملهما أحد بعد اليوم موضع الحديث والسمر !! »

« قاف »

والفن ، ولكننا نتحدث عن ذلك النوع من المطالعات في أدب الجيل .

وإنما ربطنا بين الحديث عن « اقرأ » و « المختار » لأن نعمة تشابهها ما في الشكل العام وفي الأثر والنتيجة يقتضي هذا الربط على بُعد ما بينهما في الموضوع والوحدة ... ، فكلها نوع جديد من المطالعات الدورية ليس من الكتاب ولا من المجلة وإن كان أدنى شها إليهما . وقد أقبل القراء على هذا النوع إقبالا يدعو الباحث إلى تعرف أسبابه وما قد يكون له من أثر ونتيجة ؛ أما السبب فبما أرى فهو مستمد من روح العصر الذي هوّن على الناس أفرادا وأسرار أن يهجروا الجلوس إلى الثالثة في البيت الهيبا ليتناولوا طعامهم ماشين أو راكبين أو واقفين يقضون « الشطائر » وهم يتبادلون الرأي في شؤون العلم أو في شؤون المال ، وكذلك كان عليهم أن يهجروا المكتاب والمجلة إلى هذه المطالعات يتروكون منها ما تزودهم ماشين أو راكبين أو واقفين في انتظار الترام !

ذلك هو السبب ؛ فما نتيجته وأثره ؟ أما أثره فببطل الرخص المعنوية من أهل المدينة من سبب علته ، تعرف السبب والنتيجة ... ؛ فقد تشككت مسيدات الناس في المدينة وساء هضمهم واختل نظامهم المعنى من أكل الشطائر ماشين أو راكبين أو واقفين حيث كانوا ؛ فأيّد أن فسد « مسيداتهم الأدبية » إن اقتصر القراء على هذا النوع الواحد من الغذاء الأدبي يتناولونه في القطار أو في السيارة أو في الترام فلا يجلسون إلى كتاب في مكان هادئ إلا متأعبين لامتحان أو لإنشاء بحث ؛ كما لا يجلسون إلى مائدتهم يوما في الدار للطعام إلا داعين أو مدعوين أو محفلين بعيد !

ولو أن الأمر مضى على هذا الوجه طاء اليوم القريب الذي يجتني فيه الكتاب من سوق الأدب فلا تبقى إلا هذه « الشطائر السوقية » متعددة الألوان مختلفة المذاق متنوعة الفنون يعرضها المعارضون على كل عين وراء الزجاج ، تتناولها الأنصار والأبدى ، وما فيها اعتداء ولا دم ولا شبع

ولمعت منظمة لجنة التأليف والترجمة والنشر - شارع السكرتاري رفد ٩ عابدين - مصر